أدب الصحبة والمعاشرة



الغزالي

أدب الصحبة والمعاشرة

للإمام أبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ)

قرأه وعلق عليه

د. يحيى مراد

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ترجمة الإمام الغزالي	٣
اسمه ومولده	٣
صفة والده	٣
نشأته	٤
تلقيه العلوم	٤
زيارته للوزير نظام الملك	٥
إقامته على التدريس	٥
وفاته	٥
آثاره ومصنفاته	٥
الكتب المطبوعة	٦
في التصوف	٦
في العقائد	٧
في الفقه وأصوله	٧
في المنطق والفلسفة	٧
مقدمة	٩
الباب الأول	
فضيلة الألفة والأخوة	١١
حسن الخلق	١١
الحب والبغض في الله	١٢

الأخوة في الله ١٣
معاني الأخوة في الله ١٩
القسم الأول
التوافق بالطبع ١٩
سر الموافقة بالطباع ٢٠
الحب للجمال ٢٢
القسم الثاني
الحب المذموم والمباح ٢٢
القسم الثالث
تداخل المعاني ٢٤
القسم الرابع
ثمرة حب الله ٢٨
بيان البغض في الله ٣٠
اختلاط الطاعات والمعاصي ٣٠
إظهار البغض ٣١
مراتب الذين يبغضون في الله ٣٤
القسم الأول ٣٧
القسم الثاني ٣٧
القسم الثالث ٣٧
الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته ٣٨
الباب الثاني
في حقوق الأخوة والصحبة ٤٧

الحق الأول: في المال ٤٧
فضل الإنفاق على الإخوان ٥١
الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات ٥٢
الحق الثالث: على اللسان بالسكوت مرة، والنطق أخرى ٥٤
الحق الرابع: على اللسان بالنطق ٦٣
الحق الخامس: العفو عن الزلات والهفوات ٦٩
الحق السادس: الدعاء للأخ ٧٥
الحق السابع: الوفاء والإخلاص ٧٦
الحق الثامن: التخفيف وترك التكلف والتكليف ٨٠
خاتمة لهذا الباب ٨٧

الباب الثالث

في حق المسلم والرحم والوالدين والجوار والملك ٨٩
حقوق المسلم ٩١
الكف عن الأذى ٩٢
التواضع ٩٣
النميمة ٩٤
الهجر ٩٤
الإحسان ٩٥
الاستئذان ٩٥
الخلق الحسن ٩٦
توقير المشايخ ٩٦
التلطف بالصبيان ٩٧

طلاقة الوجه	٩٧
الوفاء بالوعد	٩٩
الإنصاف	٩٩
تنـزيل الناس منازلهم	١٠٠
إصلاح ذات البين	١٠١
ستر العورات	١٠٣
اتقاء مواضع التهم	١٠٦
الشفاعة	١٠٧
السلام	١٠٨
الاستئذان والسلام	١٠٨
التقبيل	١١٢
الانحناء عند السلام	١١٢
الالتزام والتقبيل	١١٣
القيام	١١٣
رد السلام	١١٤
الذب عن عرض أخيه	١١٥
تشميت العاطس	١١٥
المداراة	١١٧
مخالطة الأغنياء	١١٨
الإحسان إلى اليتيم	١١٩
النصح	١٢٠
حب الإخوان	١٢٠

نصرة الأخ ١٢١
الاهتمام بأمر المسلمين ١٢٢
عيادة المريض ١٢٢
الدعاء للمريض ١٢٣
تشييع الجنائز ١٢٥
زيارة القبور ١٢٦
أدب المعزي والمشيع ١٢٧
جملة الأدب ١٢٧
حقوق الجوار ١٢٩
جملة حق الجوار ١٣١
حقوق الأقارب والرحم ١٣٤
حقوق الوالدين ١٣٦
حقوق الولد ١٣٨
حقوق المملوك ١٤٢
العبد إذا نصح ١٤٤
جملة حق المملوك ١٤٦
الفهرس ١٤٧

فهرس الموضوعات

مقدمة
الباب الأول
الفصل الأول
ترجمة الإمام الغزالي
اسمه ومولده
صفة والده
نشأته
تلقيه العلوم
زيارته للوزير نظام الملك
إقامته على التدريس
وفاته
الفصل الثاني
آثاره ومصنفاته
الكتب المطبوعة
في التصوف
في العقائد
في الفقه وأصوله
في المنطق والفلسفة
المخطوطات
في التصوف
في الفقه وأصوله
نسخ كتاب آداب الصحبة
الفصل الثالث
الباب الثاني
الفكر الأخلاقي عند الغزالي

الفصل الأول
المباحث التي تمس الفكر الأخلاقي
أسس السلوك
الغريزة
تربية الغريزة
العادة
الفكر والعادة
الإرادة
أمراض الإرادة
علاج الإرادة
حرية الإرادة
الوجدان
نشوء الوجدان
اختلاف الوجدان
تربية الوجدان
درجات الوجدان
مقياس الخير والشر
السعادة
الفصل الثاني
الفكر الأخلاقي عند الغزالي
تعريف الأخلاق
غاية الأخلاق
تاريخ البحث الأخلاقي
اليونان
المسيحية
العرب
الإسلام

الاتجاهات الأخلاقية عند مفكري الإسلام
الاتجاه النظري
الاتجاه العملي
الاتجاه النظري العملي
منابع الفكر الأخلاقي عند الغزالي
المثل الأعلى
الباعث
العوامل المؤثرة في تكوين الأخلاق
الوراثة
البيئة
العلاقة بين الوراثة والبيئة
الاكتساب بالتربية
تربية الخلق
تغير الأخلاق
إصلاح الأخلاق
رياضة الصبيان
التربية والتعليم
الطرق التربوية
كيف يعرف الإنسان عيوب نفسه؟
علامات حسن الخلق
الفضائل
الدعوة إلى إصلاح النفس
الفضيلة عند الغزالي
الصورة الباطنية
الفصل الثالث
أصول الأخلاق المحمودة والمذمومة
أصول الأخلاق المحمودة

الأصل الأول: التوبة
الأصل الثاني: الخوف
الأصل الثالث: الزهد
درجات الزهد
الأصل الرابع: الصبر
درجات الصبر
مزايا الصبر
الأصل الخامس: الشكر
حقيقة الشكر
الأصل السادس: الإخلاص
الأصل السابع: التوكل
الأصل الثامن: المحبة
الأصل التاسع: الرضا بالقضاء
الأصل العاشر: ذكر الموت
أصول الأخلاق المذمومة
الأصل الأول: شره الطعام
الأصل الثاني: شره الكلام
الكذب
الغيبة
المراء
المزاح
المدح
الأصل الثالث: الغضب
الأصل الرابع: الحسد
علاج الحسد
الأصل الخامس: في البخل وحب المال
علاج البخل

الأصل السادس: حب الجاه
الأصل السابع: حب الدنيا
الأصل الثامن: الكبر
الأصل التاسع: العجب
الأصل العاشر: الرياء
درجات الرياء
علاج الرياء
كتاب آداب الصحبة
مقدمة
مقاصد الكتاب
الباب الأول
فضيلة الألفة والأخوة
حسن الخلق
الحب والبغض في الله
معاني الأخوة في الله
القسم الأول
التوافق بالطبع
سر الموافقة بالطباع
الحب للجمال
القسم الثاني
الحب المذموم والمباح
القسم الثالث
تداخل المعاني
القسم الرابع
ثمرة حب الله
بيان البغض في الله
اختلاط الطاعات والمعاصي

إظهار البغض
مراتب الذين يبغضون في الله
الكافر
المبتدع
القسم الأول
القسم الثاني
القسم الثالث
الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته
الصفات الدينية والدنيوية
العقل
حسن الخلق
الفاسق
المبتدع
أصناف الناس
أنواع الإخوان
الحريص على الدنيا
الباب الثاني
في حقوق الأخوة والصحبة
الحق الأول: في **المال**
مراتب المواساة في المال
الإيثار
الدرجة الدنيا
الدرجة العليا
التصرف بأموال الأخ
فضل الإنفاق على الإخوان
الاقتداء برسول الله ﷺ
رفع التكلف بين الإخوان

الحق الثاني:
في الإعانة بالنفس
قضاء حاجة الأخ
تفقد العيال
زيارة الأخ
السؤال عن الأخ
حق الجليس
الحق الثالث:
على اللسان بالسكوت
السكوت عن العيب
السكوت عن التجسس
السكوت عن القدح
السكوت عن كل كلام يكرهه
السكوت عن الغيبة
طلب المعاذير
العفو عن الزلات
البذاء والبيان
السكوت بالقلب
سوء الاعتقاد
الظن
التجسس والتحسس
إظهار الجميل وستر القبيح
الحب للإخوان ما يحب للنفس
الحقد على المسلم
السكوت عن إفشاء السر
ا الس بالأمانة
صدق الأخوة

السكوت عن المراء
الموافقة في الكلام والفعل
الحق الرابع:
على اللسان بالنطق
السكوت كف الأذى
إظهار الحب
الثناء على الأخ
الذب عن عرض الأخ
الإخلاص في الغيب والشهادة
نصح المسلم وتعليمه
التوبيخ والنصيحة
التنبيه على الصفات المذمومة
الحق الخامس
العفو عن الزلات والهفوات
اصطحاب الأتقياء
أخوة القرابة والدين
تتبع الزلات
المقاطعة والهجر
اعتذار الأخ
عتاب الأخوة
الغلو في الحب والبغض
الحق السادس
الدعاء للأخ
الدعاء في الغيب
الدعاء للميت
الحق السابع
الوفاء والإخلاص

عدم التغير مع الأحوال
الموافقة
صيانة الأخوة
الجزع لمفارقة الأخ
عدم سماع بلاغات الناس
الحق الثامن
التخفيف وترك التكلف
تمام التخفيف
مخالطة أصناف الناس
أصناف الناس
شرط الصحبة عند الصوفية
رؤية الفضل للناس
المرء على دين خليله
مشاورة الأخوة
عقد الأخوة
النظر إلى الإخوان
الحياء والأمانة
سماع كلام الأخ
خفض الصوت
المعونة
عدم التقدم في المشي
آداب الباطن
جملة آداب العشرة وا السة مع أصناف الخلق
البشاشة والرضا
التوسط في الأمور
تنظيم السلوك
أدب ا لس

مجالسة العامة
المزاح
كفارة ا لمس
الباب الثالث
في حق المسلم والرحم والوالدين والجوار والملك
اختلاط الإنسان
أنواع الروابط
رابطة الجوار
رابطة القرابة
تفاوت الصداقات
الإيثار
حقوق المسلم
السلام والنصح
حب الخير
الكف عن الأذى
التواضع
النميمة
الهجر
الإحسان
الاستئذان
الخلق الحسن
توقير المشايخ
التلطف بالصبيان
طلاقة الوجه
الوفاء بالوعد
الإنصاف
ت يل الناس منازلهم

إصلاح ذات البين
ستر العورات
اتقاء مواضع التهم
الشفاعة
السلام
الاستئذان والسلام
المصافحة
التقبيل
الانحناء عند السلام
الالتزام والتقبيل
القيام
رد السلام
الذب عن عرض أخيه
تشميت العاطس
المداراة
مخالطة الأغنياء
الإحسان إلى اليتيم
النصح
حب الإخوان
نصرة الأخ
الاهتمام بأمر المسلمين
عيادة المريض
الدعاء للمريض
تشييع الجنائز
زيارة القبور
أدب المعزي والمشيع
جملة الأدب

حقوق الجوار
جملة حق الجوار
حقوق الأقارب والرحم
حقوق الوالدين
حقوق الولد
حقوق المملوك
العبد إذا نصح
الإحسان إلى العبد
جملة حق المملوك
فهارس الكتاب

ترجمة المؤلف

اسمه ومولده:

هو أبو حامد زين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي [١] الطوسي[٢] ولد بمدينة طوس من أعمال خراسان سنة ٤٥٠هـ، من والد فقير صالح، كان يعمل بغزل الصوف وبيعه في دكان بطوس.

صفة والده:

يحكى أن أباه كان فقيراً صالحاً، لا يأكل إلا من كسب يده، ويطوف على الفقهاء ويجالسهم، ويخدمهم ما أمكنه، وكان يستمع لأقوال علماء المتصوفة في حلقا م، فيتأثر تأثرا كبيراً، ويبكي ويتوسل إلى الله تعالى، أن يرزقه ولداً صالحاً مثلهم، ويجعله فقيها واعظاً.

فاستجاب الله سبحانه لدعائه، ورزقه محمداً وأحمداً، فكان محمد إمام أهل زمانه، وعلماً لأئمة الإسلام، كتب فأنار، ووعظ فأفاد.

أما أحمد، فكان ذلك الصوفي الواعظ، الذي تجمع الناس حوله وازدحموا.

إلا أن والدهما لبى نداء ربه، ولم يدرك ما وصل إليه ولداه.

---

(١) نسبة إلى مهنة أبيه، وهي غزل الصوف، لذا تقرأ بتشديد الزاي، ويروى أنه ولد في قرية الغزالية من قرى طوس، وعلى هذا فالزاي تنطق غير مشددة، وعلق ابن خلكان على رواية عدم التشديد بأ ا خلاف المشهور، ونسبها إلى ابن السمعاني. والذي شاع هو تخفيف الزاي في لقبه. انظر وفيات الأعيان ١٨/١، الوافي بالوفيات ٢٧٧/١، اللباب ١٧٠/٢.

(٢) نسبة إلى طوس، ثاني مدينة في خراسان، بعد نيسابور، وكانت تتألف من بلدتين يقال لإحداهما الطابران، وللأخرى: نوقان، ولهما أكثر من ألف قرية، وبطوس يوجد قبر الإمام علي بن موسى الرضا، وقبر هارون الرشيد، وفي سنة ٦١٧هـ دمر المغول مدينة طوس، فلم تنهض، وقامت بجوانبها بعض المدن كالمشهد انظر معجم البلدان ٥٩٠/٣، الوفيات ٨١/١.

نشأته:

لما دنت ساعة وفاة والده، أوصى به، وبأخيه أحمد، إلى صديق له من المتصوفة، وزوده بما يدخره من مال، لينفقه على تعليمهما، ولم يكن هذا الصديق المتصوف، مجرد وصي عليهما، بل كان معلماً لهما أيضاً، فأول معلم للغزالي، كان صوفياً.

ولكن المال الذي خلفه والدهما كان قليلاً، سرعان ما نفد، إضافة إلى كون الصديق المتصوف من الفقراء، فأشار عليهما بالالتحاق بمدرسة تنفق على طلا ا، فانصرف محمد وأحمد إلى تحصيل العلم بكل جد ونشاط.

فكان هذا الرجل سبب سعاد ما وعلو درجا ما، وكان الغزالي يحكي ذلك، كما كان يقول: طلبنا العلم لغير الله، فأبى أن يكون إلا لله.

تلقيه العلوم:

لقد كان تأثير الصوفي عليهما واضحاً، حيث انصرف أحمد إلى التصوف في ريعان شبابه، فآثر الزهد والتقشف والخلوة والاعتكاف، وقد دخل بغداد وعقد حلقة للوعظ في أحد مساجدها، فتوافد عليه الطلبة من كل مكان، وازدحموا حوله.

أما محمد فقد واصل دراسة الفقه في طوس، ثم سافر إلى جرجان لتلقي العلوم، وهو دون العشرين من عمره، ثم رجع إلى طوس، وفي الطريق داهمه بعض اللصوص، وسرقوا منه بعض كتبه، فعز عليه أن يتركها وينجو بنفسه، فخاطر بحياته، وتوسل إليهم أن يردوها إليه. ومنذ هذه الحادثة، أصبح الغزالي يحفظ كل ما يقع تحت يديه من علوم ومعارف، حتى لا يكون بحاجة إليها في حال فقده إياها.

ثم ارتحل إلى نيسابور، حيث جذبته شهرة إمام الحرمين الجويني[١] رئيس المدرسة النظامية آنذاك، فدرس عليه الفقه وأصوله والجدل والمنطق والفلسفة فتعمق في دراسة الفلسفة، ولم يجد فيها ما يشفي الغليل، فانتقدها، واتجه للتصوف، حيث وجد فيه مرتعاً للنفس وطمأنينة للقلب، وطريقاً توصل الإنسان إلى أسمى الدرجات.

(١) هو أبو المعالي ضياء الدين عبد الملك الجويني، انظر: طبقات الشافعية ٢٤٩/٢.

زيارته للوزير نظام الملك:

لما مات الإمام الجويني، غادر الغزالي نيسابور عام ٤٧٨هـ، قاصداً المعسكر، وهو في الثامنة والعشرين من عمره، فتعرف على نظام الملك الوزير السلجوقي، مؤسس المدرسة النظامية ببغداد، فأعجب به وبعلمه فعينه أستاذاً فيها فقدم بغداد سنة ٤٨٤هـ ودرس بالنظامية، وأعجب الخلق، بحسن كلامه، وكمال فضله، وفصاحة لسانه، فأحبوه وأجلوه.

إقامته على التدريس:

أقام الغزالي على التدريس والوعظ، فعلا جاهه، واشتهر اسمه، فضربت به الأمثال، وشدت إليه الرحال، لما عرف عنه من شرف النفس والترفع عن الرذائل، فانتفع بعلمه الكثير، ومصنفاته ما تزال رافداً عذباً، يرتوي منها عشاق الفضيلة.

وفي سنة ٤٨٨هـ خرج من بغداد بناءً على نصيحة أطبائه، حيث أصيب بداء الكنظ، فأشاروا عليه بالسفر والتجوال، فاستجاب لطلبهم، واستناب أخاه في التدريس، وخرج إلى الشام والقدس والخليل ومكة والمدينة، ولم يعمل في بغداد سوى أربع سنوات.

ثم عاد إلى بغداد بعد أداء فريضة الحج، وعقد ا مجلس الوعظ، تكلم عن لسان أهل الحقيقة، وحدث بكتاب إحياء علوم الدين.

ثم قصد نيسابور فدرس بنظاميتها، ثم عاد إلى بلده طوس، فأقام فيها، وابتنى رباطاً للصوفية، واتخذ داراً حسنة، وغرس فيها بستانا، وأقبل على تلاوة القرآن، وحفظ صحيح الحديث، والزهد والعبادة.

وفاته:

توفي -رحمه الله- بطوس سنة ٥٠٥هـ ودفن فيها.

مؤلفاته:

بدأ الإمام الغزالي التأليف في فروع الفقه وأصوله، ومسائل الخلاف والجدل منذ صباه، ثم شملت مؤلفاته أكثر فروع المعرفة، التي كانت معروفة آنذاك.

ويتميز أسلوب الغزالي بالجزالة والوضوح والرقة، مع إثارة الوجدان، كما

اشتهر بحسن التقسيم والتبويب، مما يجعل الأجزاء متناسقة مترابطة، تشكل وحدة شاملة، وقد يطغى أسلوبه الجدلي أحياناً، حينما يرد على بعض الأفكار.

الكتب المطبوعة:

أ- في التصوف:

١- آداب الصوفية.
٢- الأدب في الدين.
٣- الأربعين في أصول الدين.
٤- الإملاء عن إشكال الأحياء.
٥- إحياء علوم الدين.
٦- أيها الولد.
٧- بداية الهداية و ذيب النفوس بالآداب الشرعية.
٨- جواهر القرآن ودرره.
٩- الحكمة في مخلوقات الله.
١٠- خلاصة التصانيف.
١١- الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة.
١٢- الرسالة اللدنية.
١٣- الرسالة الوعظية.
١٤- فاتحة العلوم.
١٥ القواعد العشرة.
١٦- الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين، مطبوع امش (تنبيه المغتر) للشعراني.
١٧- المرشد الأمين إلى موعظة المؤمنين، لخص فيه إحياء علوم الدين.
١٨- مشكاة الأنوار.
١٩- مكاشفة القلوب المقرب إلى حضرة علام الغيوب.
٢٠- منهاج العابدين إلى الجنة.
٢١- ميزان العمل.

ب- في العقائد:

٢٢- الأجوبة الغزالية في المسائل الأخروية.

٢٣- الاقتصاد في الاعتقاد.

٢٤- إلجام العوام عن علم الكلام.

٢٥- الرسالة القدسية في قواعد العقائد.

٢٦- عقيدة أهل السنة.

٢٧- فضائح الباطنية وفضائل المستظهرية.

٢٨- فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة.

٢٩- القسطاس المستقيم.

٣٠- كيمياء السعادة.

٣١- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى.

جـ - في الفقه وأصوله:

٣٢- أسرار الحج، في الفقه الشافعي.

٣٣- شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل.

٣٤- المستصفى في علم الأصول.

٣٥- الوجيز في الفروع.

د- في المنطق والفلسفة:

٣٦- افت الفلاسفة.

٣٧- رسالة الطير.

٣٨- محك النظر في المنطق.

٣٩- معارج القدس في مدارج معرفة النفس.

٤٠- معيار العلم في المنطق.

٤١- مقاصد الفلاسفة.

٤٢- المنقذ من الضلال.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غمر صفوة عباده بلطائف التخصيص طولاً وامتناناً، وألف بين قلو م، فأصبحوا بنعمته إخوانا، ونـزع الغل من صدورهم، فظلوا في الدنيا أصدقاءً وإخواناً، وفي الآخرة رفقاءً وخلانا، والصلاة والسلام على محمد المصطفى، وعلى آله وصحبه الذين اتبعوه، واقتدوا به قولاً وفعلاً وعدلاً وإحساناً.

أما بعد: فإن التحاب في الله تعالى، والأخوة في دينه، من أفضل القربات، وألطف ما يستفاد من الطاعات، في مجاري العادات، ولها شروط ا يلتحق المتصاحبون بالمتحابين في الله تعالى.

وفيها حقوق بمراعا ا تصفو الأخوة عن شوائب الكدرات، ونـزعات الشيطان، فبالقيام بحقوقها يتقرب إلى الله زلفى، وبالمحافظة عليها تنال الدرجات العلى.

ونحن نبين **مقاصد هذا الكتاب،** في **ثلاثة أبواب:**

الباب الأول: في فضيلة الألفة والأخوة في الله، وفي شروطها، ودرجا ا وفوائدها.

الباب الثاني: في حقوق الصحبة، وآدا ا ولوازمها.

الباب الثالث: في حق المسلم والرحم والجوار والملك، وكيفية المعاشرة مع من يدلي ذه الأسباب.

الباب الأول

في فضيلة الألفة والأخوة وشروطها ودرجا ا وفوائدها

فضيلة الألفة والأخوة:

اعلم أن الألفة ثمرة حسن الخلق، والتفرق ثمرة سوء الخلق. فحسن الخلق يوجب التحاب والتآلف والتوافق. وسوء الخلق يثمر التباغض والتحاسد والتدابر، ومهما كان المثمر محموداً كانت الثمرة محمودة.

حسن الخلق

وحسن الخلق لا تخفى في الدين فضيلته، وهو الذي مدح الله سبحانه به نبيه ﷺ؛ إذ قال: **وإنك لعلى خلق عظيم** [القلم: ٤١]. وقال النبي ﷺ: «**أكثر ما يدخل الناس الجنة تقوى الله وحسن الخلق**»(١).

وقال أسامة بن شريك: قلنا يا رسول الله، ما خير ما أُعطي الإنسان؟ فقال «**خلق حسن**»(٢).

وقال ﷺ «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»(٣).

وقال ﷺ «**أثقل ما يوضع في الميزان. خلق حسن**»(٤).

وقال ﷺ «**ما حسن الله خلْق امرئ وخلقه فتطعمه النار**»(٥).

وقال ﷺ «**يا أبا هريرة عليك بحسن الخلق**». قال أبو هريرة: وما حسن الخلق يا رسول الله قال: «**تصل من قطعك وتعفو عمن ظلمك، وتعطي من حرمك**»(٦).

ولا يخفى أن ثمرة الخلق الحسن الألفة، وانقطاع الوحشة.

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة ٤/ ٣٦٣.

(٢) رواه ابن ماجة ٢/ ١١٣٣٧.

(٣) رواه البيهقي والحاكم من حديث أبي هريرة. المغني ٢/ ١٥٧.

(٤) رواه الترمذي ٤/ ٣٦٣، وأبو داود ٤/ ٢٥٦.

(٥) أخرجه ابن عدي، وقال في إسناده بعض النكرة. والطبراني والبيهقي من حديث أبي هريرة بسند ضعيف.

(٦) المغني ٢/ ١٥٨، إتحاف السادة ٦٦/ ١٧٢.

الحب والبغض في الله

ومهما طاب المثمر طابت الثمرة. وكيف وقد ورد في الثناء على نفس الألفة وانقطاع الوحشة سيما إذا كانت الرابطة هي التقوى والدين، وحب الله، من الآيات والأخبار ما فيه كفاية ومقنع قال الله سبحانه مظهراً عظيم منته على الخلق بنعمة الألفة: **لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ** [الأنفال: ٦٣] وقال تعالى: **فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً** [آل عمران: ١٠٣] أي بالألفة.

ثم ذم الفرقة وزجر عنها فقال تعالى: **وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ** [آل عمران: ١٠٣].

وقال ﷺ «**إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً الموطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون**»(١).

وقال ﷺ: «**المؤمن ألف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**» (٢).

وقال ﷺ: في الثناء على الأخوة في الدين «**من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسى ذكره وإن ذكر أعانه**» (٣).

وقال ﷺ: «**مثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً**»(٤).

---

(١) رواه الطبراني في مكارم الأخلاق من حديث جابر بسند ضعيف المغني ٢/ ١٥٨، رواه الترمذي ٤/ ٣٧٠.

(٢) رواه أحمد والطبراني من حديث سهل بن سعد والحاكم.

(٣) المغني ٢/ ١٥٨، رواه أبو داود ٣/ ١٣١، النسائي ٧/ ١٥٩.

(٤) رواه السلمي في آداب الصحبة وأبو منصور الديلمي.

الأخوة في الله

وقال ﷺ: في الترغيب في الأخوة في الله: «**من آخا أخاً في الله رفعه الله درجة في الجنة لا ينالها بشيء من عمله**»[١].

وقال أبو إدريس الخولاني، لمعاذ إني أحبك في الله، فقال له: أبشر ثم أبشر فإني سمعت النبي ﷺ يقول: «**ينصب لطائفة من الناس كراسي حول العرش يوم القيامة عليها منابر من نور عليها قوم وجوههم كالقمر ليلة البدر، يفزع الناس ولا يفزعون، ويخاف الناس ولا يخافون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون**» فقيل: من هؤلاء يا رسول الله فقال: «**هم المتحابون في الله والمتجالسون في الله**»[٢].

ورواه أبو هريرة فقال فيه: إن حول العرش منابر من نور عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم النبيون والشهداء، فقال: يا رسول الله، صفهم لنا فقال: «**هم المتحابون في الله المتجالسون في الله والمتزاورون في الله**» [٣].

وقال ﷺ: «**ما تحاب اثنان في الله إلا كان أحبهما إلى الله أشدهما حباً لصاحبه**» [٤].

ويقال: إن الأخوين في الله، إذا كان أحدهما أعلى مقاماً في الآخرة، رفع الله الآخر معه إلى مقامه، وأنه يلحق به كما تلتحق الذرية بالأبوين، والأهل بعضهم ببعض، لأن الأخوة إذا اكتسبت في الله تعالى، لم تكن دون عمل الولادة، وقد قال تعالى: ﴿**أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ**﴾ [الطور: ٢١].

وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقول: حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وحقت محبتي للذين يتباذلون من**

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان من حديث أنس بإسناد ضعيف المغني ٢/ ١٥٨.
(٢) أخرجه النسائي في سننه الكبرى، انظر المغني ٢/ ١٥٩..
(٣) الحديث أخرجه النسائي في سننه الكبرى انظر المغني ٢/ ١٥٩.
(٤) أخرجه ابن حبان والحاكم من حديث أنس انظر منتخب كنـز العمال ٣/ ٣٦٥.

أجلي وحقت محبتي **للذين يتناصرون من أجلي**» [١].

وقال ﷺ: «**إن الله -عز وجل- يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلهم** في **ظلي يوم لا ظل إلا ظلي**»[٢].

وقال ﷺ «**سبعة يظلهم الله** في **ظله، يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل، وشاب نشأ** في **عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمسجد، إذا خرج منه حتى يعود إليه، ورجلان** تحابا في **الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسب وجمال، فقال:** إني **أخاف الله تعالى، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم** شماله **ما تنفق** يمينه» [٣].

وقال ﷺ:«**ما زار رجل رجلاً** في **الله تعالى شوقاً إليه ورغبة** في **لقائه، إلا ناداه ملك من خلفه: طبت وطاب** ممشاك، **وطابت لك الجنة**» [٤].

وقال ﷺ: «**إن رجلاً زار أخاً له** في **الله، فأرصد الله له ملكاً، فقال: أين تريد؟ فقال: أريد أن أزور أخي فلاناً، فقال:** لحاجة **لك عنده؟ قال: لا. قال: لقرابة بينك وبينه؟ قال: لا. قال:** فبنعمة **له عندك؟ قال: لا. قال:** فبم **؟ قال: أحبه** في **الله تعالى. قال: فإن الله أرسلني إليك،** يخبرك، **بأنه** يحبك **لحبك إياه، وقد أوجب لك الجنة**»[٥].

وقال ﷺ: «**أوثق عرى الإيمان الحب** في **الله والبغض** في **الله**»[٦].

فلهذا يجب أن يكون للرجل أعداء، يبغضهم في الله، كما يكون له أصدقاء وإخوان، يحبهم في الله. ويروى أن الله -عز وجل- أوحى إلي نبي من الأنبياء: **أما زهدك** في **الدنيا فقد تعجلت به الراحة، وأما انقطاعك** إلي، **فقد تعززت** بي، **ولكن**

---

(١) رواه أحمد من حديث عبادة بن الصامت انظر منتخب كنـز العمال ٣/ ٣٦٥.

(٢) رواه مسلم ٤/ ١٩٨٨.

(٣) رواه البخاري ٨/ ٢٠ ومسلم ٢/ ٧١٥.

(٤) أخرجه ابن عدي من حديث أنس المغني ٢/ ١٥٩.

(٥) رواه مسلم ٤/ ١٩٨٨.

(٦) رواه أحمد من حديث البراء بن عازب المغني ٢/ ١٥٩.

هل عاديت في **عدواً؟ وهل واليت** في **وليا.**

وقال ﷺ «**اللهم لا** تجعل **لفاجر علي منة، فترزقه** مني **محبة**»[١].

ويروى أن الله -عز وجل-أوحى إلى عيسى -عليه السلام-: لو أنك عبدتني بعبادة أهل السموات والأرض وحب في الله ليس، وبغض في الله ليس، ما أغنى عنك ذلك شيئاً.

وقال عيسى -عليه السلام-: «تحببوا إلى الله ببغض أهل المعاصي، وتقربوا إلى الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضاء الله بسخطهم» قالوا: يا روح الله فمن نجالس؟ قال: «جالسوا من تذكركم الله رؤيته، ومن يزيد علمكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله».

وروي في الأخبار السالفة، أن الله أوحى إلى موسى -عليه السلام-: يا بن عمران كن يقظاناً وارتد لنفسك أخداناً[٢]، وكل خدن وصاحب لا يؤازرك على مسرتي، فهو لك عدو.

وأوحى الله تعالى إلى داود -عليه السلام-، فقال: يا داود مالي أراك منتبذاً وحيداً؟ فقال: إلهي قليت الخلق من أجلك.

فقال: يا داود كن يقظاناً، وارتد لنفسك أخداناً، فكل خدن لا يوافقك على مسرتي، فلا تصحبه، فإنه لك عدو يقسي قلبك ويباعدك مني.

وفي أخبار داود -عليه السلام-: أنه قال: يا رب كيف لي أن يحبني الناس كلهم، وأسلم فيما بيني وبينك. قال: خالق الناس بأخلاقهم، وأحسن فيما بيني وبينك.

وفي بعضها خالق أهل الدنيا بأخلاق أهل الدنيا، وخالق أهل الآخرة بأخلاق الآخرة.

وقال النبي ﷺ: «**إن أحبكم إلى الله الذين يألفون ويؤلفون، وإن أبغضكم إلى**

---

(١) رواه ابن مردويه والديلمي بإسناد ضعيف انظر الفوائد المجموعة ص ٢١١.

(٢) الأصل: إخواناً.

الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الإخوان» [١].

وقال ﷺ: «**إن لله تعالى ملكاً نصفه من النار، ونصفه من الثلج، يقول: اللهم كما ألفت بين الثلج والنار، كذلك ألف بين قلوب عبادك الصالحين**» [٢].

وقال أيضاً: «**ما أحدث عبد أخا في الله إلا أحدث الله له درجة في الجنة**»[٣]

وقال ﷺ: «**المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء، في رأس العمود سبعون ألف غرفة، يشرفون على أهل الجنة، يضيء حسنهم لأهل الجنة كما تضيء الشمس لأهل الدنيا، فيقول أهل الجنة: انطلقوا بنا ننظر إلى المتحابين في الله، عليهم ثياب سندس خضر، مكتوب على جباههم المتحابون في الله**»[٤].

الآثار:

قال علي ﷺ: عليكم بالإخوان، فإنم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار **فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وقال عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما-: «والله لو صمت النهار لا أفطر، وقمت الليل لا أنامه، وأنفقت مالي علقاً علقاً في سبيل الله، ثم أموت يوم أموت، وليس في قلبي حب لأهل طاعة الله، وبغض لأهل معصية الله، ما نفعني ذلك شيئاً».

وقال ابن السماك [٥] عند موته: اللهم إنك تعلم أني إذا كنت أعصيك، كنت أحب من يطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك.

وقال الحسن[٦] علي ضده: يابن آدم لا يغرنك قول من يقول المرء مع من

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط والصغير من حديث أبي هريرة بسند ضعيف المغني ٢/ ١٦٠.

(٢) رواه أبو الشيخ ابن حبان من كتاب العظمة من حديث معاذ بن جبل بسند ضعيف المغني ٢/ ١٦٠.

(٣) تقدم.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في النوادر من حديث ابن مسعود بسند ضعيف منتخب كنـز العمال ٣/ ٣٦٧.

(٥) هو أبو العباس بن السماك، عابد زاهد توفي بالكوفة سنة ٨٣هـ.

(٦) الحسن يتكرر في الكتاب، ولعله الحسن البصري الآتية ترجمته.

أحب، فإنك لا تلحق بالأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهود والنصارى يحبون أنبياءهم وليسوا معهم، وهذه إشارة إلى أن مجرد ذلك من غير موافقة في بعض الأعمال، أو كلها لا ينفع.

وقال الفضيل[١] في بعض كلامه: هل تريد أن تسكن الفردوس، وتجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بأي عمل عملته، بأية شهوة تركتها، بأي غيظ كظمته، بأي رحم قاطع وصلتها، بأية زلة لأخيك غفر ا، بأي قريب باعدته في الله، بأي بعيد قاربته في الله.

ويروى أن الله -عز وجل- أوحى إلى موسى -عليه السلام-، هل عملت لي عملاً قط؟ فقال «**إلهي ذكرتك، وصليت لك وصمت وتصدقت لك**» فقال: «**إن الصلاة لك برهان، وإن الصوم لك جنة، والصدقة ظل، والذكر نور، فأي عمل عملت** لي**؟**» قال موسى -عليه السلام- «**إلهي دلني على عمل هو لك**» قال: «**يا موسى، هل واليت** لي **ولياً قط؟ هل عاديت** لي **عدواً قط؟**» فعلم موسى أن أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله.

وقال ابن مسعود[٢] «**لو أن رجلاً قام** بين **الركن والمقام يعبد الله** سبعين **سنة، لبعثه الله يوم القيامة مع من** يحب».

وقال الحسن[٣] بن علي عليهما السلام: «مصارمة الفاسق قربان إلى الله عز وجل».

---

(١) هو الفضيل بن عياض أبو علي التميمي، أحد الأئمة العباد الزهاد، والعلماء، عرض عليه القضاء فأبى. توفي سنة ١٨٧هـ.

(٢) هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب بن شمخ بن مخزوم أبو عبد الرحمن، أسلم بمكة وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها، أخرج له أصحاب الكتب الستة، كان فاضلا، وهو أول من جهر بقراءة القرآن، ولي بيت مال الكوفة، توفي سنة ٣٢هـ وقيل ٣٣هـ.

(٣) الحسن بن علي بن أبي طالب، سيد أصلح الله به بين طائفتين عظيمتين من المسلمين، توفي سنة ٥٠هـ.

وقال رجل لمحمد بن واسع [(١)] إني لأحبك في الله، قال: أحبك الذي أحببتني له، ثم حول وجهه وقال: اللهم إني أعوذ بك أن أحب فيك، وأنت لي مبغض.

ودخل رجل على داود الطائي[(٢)] فقال له: ما حاجتك؟ فقال: زيارتك. فقال: أما أنت فقد عملت خيراً حين زرت، ولكن انظر ما ينـزل بي أنا إذا قيل لي من أنت فتزار؟ أمن الزهاد أنت؟ لا والله، أمن العباد أنت؟ لا والله، أمن الصالحين أنت؟ لا والله.

ثم أقبل يوبخ نفسه، ويقول: كنت في الشبيبة فاسقاً، فلما شخت صرت مرائياً، والله للمرائي شر من الفاسق.

وقال عمر [(٣)] ﷺ: إذا أصاب أحدكم وداً من أخيه فليتمسك به فقل ما يصيب ذلك.

وقال مجاهد [(٤)] المتحابون في الله تعالى إذا التقوا وكشر بعضهم إلى بعض، تتحات عنهم الخطايا، كما يتحات ورق الشجر في الشتاء إذا يبس.

وقال الفضيل: نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة.

---

(١) محمد بن واسع أبو بكر بن جابر الأزدي البصري سيد القراء وعالم البصرة وعابدها، وزاهد لبس الصوف، توفي سنة ١٢٧هـ وقيل سنة ١٢٣هـ.

(٢) هو داود بن نصر الطائي الكوفي الزاهد، برع في الفقه، ثم اعتزل توفي سنة ٦٢هـ.

(٣) عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، يجتمع نسبه مع النبيﷺ في كعب، أول من سمي بأمير المؤمنين، اشتهر بالعلم والرجاحة والزهد والتواضع والرفق وحسن القيادة، والحكمة، ورقة القلب، ثاني الخلفاء الراشدين، أسلم قبل الهجرة، وشهد الوقائع مع رسول الله ﷺ استشهد سنة ٢٣هـ.

(٤) هو مجاهد بن جبر، وقيل ابن جبير، مولى عبد الله بن السائب. تابعي وإمام جليل مشهور، من الزهاد مع فقهه وورعه. توفي سنة ١٠٢هـ بمكة.

بيان معاني الأخوة في الله وتمييزها عن الأخوة في الدنيا

اعلم أن الحب في الله، والبغض في الله غامض، وينكشف الغطاء عنه بما نذكره، وهو أن الصحبة تنقسم إلى ما يقع بالاتفاق، كالصحبة بسبب الجوار، أو بسبب الاجتماع في المكتب، أو في المدرسة، أو في السوق، أو على باب السلطان، أو في الأسفار.

وإلى ما ينشأ اختياراً، أو بقصد، وهو الذي نريد بيانه.

إذ الأخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة، إذ لا ثواب إلا على الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها.

والصحبة: عبارة عن ا السة، والمخالطة، وا اورة.

وهذه الأمور لا يقصد الإنسان ا غيره، إلا إذا أحبه، فإن غير المحبوب يجتنب ويباعد، ولا تقصد مخالطته.

والذي يحب، فإما أن يحب لذاته، لا ليتوصل به إلى محبوب ومقصود وراءه.

وإما أن يحب للتوصل به إلى مقصود. وذلك المقصود، إما أن يكون مقصوراً على الدنيا وحظوظها، وإما أن يكون متعلقاً بالآخرة، وإما أن يكون متعلقاً بالله تعالى.

فهذه أقسام أربعة:

أما القسم الأول: وهو حبك الإنسان لذاته، فذلك ممكن وهو أن يكون هو في ذاته محبوباً عندك، على معنى أنك تلتذ برؤيته ومعرفته، ومشاهدة أخلاقه، لاستحسانك له، فإن كل جميل لذيذ في حق من أدرك جماله، وكل لذيذ محبوب، واللذة تتبع الاستحسان، والاستحسان يتبع المناسبة والملائمة.

التوافق بالطبع:

والموافقة بين الطباع، ثم ذلك المستحسن، إما أن تكون هي الصورة الظاهرة، أعنى حسن الخلقة، وإما أن تكون هي الصورة الباطنة، أعني كمال العقل، وحسن الخلق، ويتبع حسن الأخلاق، حسن الأفعال لا محالة، ويتبع كمال العقل غزارة

العلم، وكل ذلك مستحسن عند الطبع السليم، والعقل المستقيم وكل مستحسن يستلذ به، ومحبوب.

بل في ائتلاف القلوب أمر أغمض من هذا. فإنه قد تستحكم المودة بين شخصين، من غير ملاحة في صورة ولا حسن في خلق وخلق، ولكن بمناسبة باطنة توجب الألفة والموافقة، فإن شبيه الشيء، منجذب إليه بالطبع، والأشباه الباطنة خفية، ولها أسباب دقيقة، ليس في قوة البشر الإطلاع عليها، وعن ذلك عبر رسول الله ﷺ حيث قال: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**»(١).

فالتناكر نتيجة التباين، والائتلاف نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف، وفي بعض الألفاظ (تلتقي الأرواح فتشام في الهواء).

وكنى بعض العلماء عن هذا، بأن قال: إن الله تعالى خلق الأرواح ففلق بعضها فلقاً وأطافها حول العرش فأي روحين من فلقتين تعارفاً هناك فالتقيا تواصلاً في الدنيا.

قال ﷺ: «**إن روحي المؤمنين لتلتقيان على مسيرة يوم، وما رأى أحدهما صاحبه قط**»(٢).

وروي أن امرأة بمكة كانت تضحك النساء، وكانت بالمدينة أخرى، فنـزلت المكية على المدنية، فدخلت على عائشة، فأضحكتها، فقالت لها: أين نـزلت؟ فذكرت نـزولها على المرأة المضحكة.

فقالت: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجندة.. الحديث**».

سر الموافقة بالطباع:

والحق في هذا أن المشاهدة والتجربة تشهد للائتلاف عند التناسب، والتناسب

---

(١) رواه مسلم ٤/ ٢٠٣١، أبو داود ٤/ ٢٦٠.

(٢) أخرجه أحمد من حديث عبد الله بن عمر بلفظ «أرواح المؤمنين تلتقي» وفيه ابن لهيعة عن دراج المغني ٢/ ١٦١.

في الطباع والأخلاق باطناً وظاهرا أمر مفهوم، وأما الأسباب التي أوجبت تلك المناسبة، فليس في قوة البشر الاطلاع عليها.

وغاية هذيان المنجم، أن يقول: إذا كان طالعه على تسديس طالع غيره، أو تثليثه، فهذا نظر الموافقة والمودة، فيقتضي التناسب والتودد، وإذا كان على مقابلته، أو تربيعه، اقتضى التباغض والعداوة.

فهذا لو صدق بكونه كذلك في مجاري سنة الله تعالى في خلق السموات والأرض، لكان الأشكال فيه أكثر من الأشكال في أصل التناسب فلا معنى للخوض فيما لم ينكشف سره للبشر، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً، ويكفينا في التصديق بذلك التجربة والمشاهدة، وقد ورد الخبر بذلك.

قال ﷺ: «**لو أن مؤمناً دخل إلى مجلس فيه مائة منافق، ومؤمن واحد، لجاء حتى يجلس إليه ولو أن منافقاً دخل إلى مجلس فيه مائة مؤمن، ومنافق واحد لجاء حتى يجلس إليه**»(١).

فهذا وهذا يدل على أن شبه الشيء منجذب إليه بالطبع، وإن كان لا يشعر به.

وكان مالك بن دينار يقول: لا يتفق اثنان في عشرة، إلا وفي أحدهما وصف من الآخر، وإن أشكال الناس كأجناس الطير، ولا يتفق نوعان من الطير في الطيران إلا وبينهما مناسبة.

قال: فرأى يوماً غراباً مع حمامة، فعجب من ذلك، وقال: اتفقا وليسا من شكل واحد. ثم طارا فإذا هما أعرجان. فقال. من هاهنا اتفقا. ولذلك قال بعض الحكماء: كل إنسان يأنس إلى شكله، كما أن كل طير يطير مع جنسه، فإذا اصطحب اثنان برهة من الزمان، ولم يتشاكلا في الحال، فلابد أن يفترقا.

وهذا معنى خفي تفطن إليه الشعراء حتى قال قائلهم:

---

(١) أخرجه العسكري في الأمثال، وأورده الديلمي بلا سند لفظ «لو أن رجلا مؤمنا دخل المدينة فيها ألف منافق ومؤمن واحد لشم روحه روح ذلك المؤمن وعكسه»، انظر إتحاف السادة ٦/ ١٨٣.

وقائل كيف تفرقتـ ـ ـ ـ ـما فقلت قولا فيه إنصـ ـ ـ ـ ـاف
لم يك من شكلي ففارقـ ـ ـ ـته والناس أشكـ ـ ـ ـ ـال وألاف

الحب للجمال:

فقد ظهر من هذا أن الإنسان قد يحب لذاته، لا لفائدة تنال منه في حال أو مآل، بل لمجرد المناسبة والمجانسة في الطباع الباطنة، والأخلاق الخفية.

ويدخل في هذا القسم الحب للجمال، إذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة، فإن الصورة الجميلة مستلذة في عينها، وإن قدر فقد أصل الشهوة، حتى يستلذ النظر إلى الفواكه، والأنوار، والأزهار، والتفاح المشرب بالحمرة، وإلى الماء الجاري، والخضرة، من غير غرض سوى عينها، وهذا الحب لا يدخل فيه الحب لله، بل هو حب بالطبع، وشهوة النفس، ويتصور ذلك ممن لا يؤمن بالله، إلا أنه إن اتصل به غرض مذموم صار مذموماً، كحب الصور الجميلة، لقضاء الشهوة، حيث لا يحل قضاؤها. وإن لم يتصل به غرض مذموم، مباح، لا يوصف بحمد ولا ذم، إذ الحب إما محمود، وإما مذموم، وإما مباح، لا يحمد ولا يذم.

القسم الثاني:

أن يحبه لينال من ذاته، غير ذاته، فيكون وسيلة العلم لنفسه، فمحبوبه العلم، فإذا كان لا يقصد العلم، للتقرب إلى الله تعالى بل لينال به الجاه والمال والقبول عند الخلق، فمحبوبه الجاه والقبول، والعلم وسيلة إليه، والأستاذ وسيلة إلى العلم.

فليس في شيء من ذلك حب لله، إذ يتصور كل ذلك ممن لا يؤمن بالله أصلاً.

الحب المذموم والمباح:

ثم ينقسم هذا أيضاً إلى مذموم ومباح، فإن كان يقصد به التوصل إلى مقاصد مذمومة من قهر الأقران، وحيازة أموال اليتامى، وظلم الرعية، بولاية القضاء، أو نحو ذلك، كان الحب مذموماً.

وإن كان يقصد به التوصل إلى مباح فهو مباح، وإنما تكتسب الوسيلة، الحكم

والصفة من المقتصد المتوصل إليه، فإنا تابعة له غير قائمة بنفسها إلى محبوب غيره، والوسيلة إلى المحبوب، محبوب وما يحب لغيره، كان ذلك الغير هو المحبوب بالحقيقة، ولكن الطريق إلى المحبوب محبوب.

لذلك أحب الناس الذهب والفضة، ولا غرض فيهما، إذ لا تطعم ولا تلبس، ولكنهما وسيلة إلى المحبوبات. فمن الناس من يحب الذهب والفضة من حيث أنما وسيلة إلى المقصود إذ يتوصل به إلى نيل جاه أو مال أو علم، كما يحب الرجل سلطاناً لانتفاعه بماله أو جاهه، ويحب خواصه لتحسينهم حاله عنده، وتمهيدهم أمره في قلبه، فالمتوسل إليه إن كان مقصور الفائدة على الدنيا، لم يكن حبه من جملة الحب لله.

وإن لم يكن مقصور الفائدة على الدنيا، ولكنه ليس يقصد به إلا الدنيا، كحب التلميذ لأستاذه، فهو أيضاً خارج عن الحب لله، فإنه إنما يحبه ليحصل منه.

القسم الثالث:

أن يحبه لا لذاته بل لغيره، وذلك الغير ليس راجعاً إلى حظوظه في الدنيا، بل يرجع إلى حظوظه في الآخرة، فهذا أيضاً ظاهر لا غموض فيه، وذلك كمن يحب أستاذه وشيخه، لأنه يتوصل به إلى تحصيل العلم، وتحسين العمل بالعلم.

ومقصوده من العلم والعمل، الفوز في الآخرة، فهذا من جملة المحبين في الله، وكذا من يحب تلميذه؛ لأنه يتلقف منه العلم، وينال بواسطته رتبة التعليم،ويرقى به إلى درجة التعظيم في ملكوت السماء. إذ قال عيسى -عليه السلام-: «من علم وعمل فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السماء».

ولا يتم التعليم إلا بمتعلم، فهو إذًا آلة في تحصيل هذا الكمال، فإن أحبه، لأنه آلة له، إذ جعل صدره مزرعة لحرثه، الذي هو سبب ترقيه إلى رتبة التعظيم في ملكوت السماء، فهو محب في الله، بل الذي يتصدق بأمواله لله، ويجمع الضيفان ويهيئ لهم الأطعمة اللذيذة الغريبة تقرباً إلى الله، فأحب طباخاً لحسن صنعته في الطبخ، فهو في جملة المحبين في الله -عز وجل-.

وكذا لو أحب من يتولى له إيصال الصدقة إلى المستحقين، فقد أحبه في الله.

بل نـزيد على هذا ونقول: إذا أحب من يخدمه بنفسه، في غسل ثيابه، وكنس بيته، وطبخ طعامه، وتفرغه بذلك للعلم، أو العمل، ومقصوده من استخدامه في هذه الأعمال الفراغ للعبادة، فهو محب في الله.

بل نـزيد عليه ونقول: إذا أحب من ينفق عليه من ماله، ويواسيه بكسوته وطعامه ومسكنه، وجميع أغراضه التي يقصدها في دنياه، ومقصوده من جملة ذلك الفراغ للعلم والعمل المقرب إلى الله، فهو محب في الله.

فقد كان جماعة من السلف تكفل بكفايتهم جماعة من أولي الثروة، وكان المواسي والمواسى جميعاً من المتحابين في الله.

بل نـزيد على ذلك ونقول: من نكح امرأة صالحة ليتحصن ا، عن وسواس الشيطان، ويصون ا دينه، أو ليولد له، ولد صالح يدعو له، وأحب زوجته، لأنا آلة له في هذه المقاصد الدينية، فهو محب في الله.

ولذلك ورد في الأخبار، وفور الأجر والثواب على الإنفاق على العيال، حتى اللقمة يضعها الرجل في في امرأته.

بل نقول: كل من اشتهر بحب الله، وحب رضائه. وحب لقائه في الدار الآخرة، فإذا أحب غيره، كان محباً في الله، لأنه لا يتصور أن يحب شيئاً، إلا لمناسبته، كما هو محبوب عنده، وهو رضاء الله تعالى.

تداخل المعاني:

بل أزيد على هذا وأقول: إذا اجتمع في قلبه محبتان، محبة الله ومحبة الدنيا، واجتمع في شخص واحد المعنيان جميعاً، حتى يصلح لأن يتوسل به إلى الله، وإلى الدنيا فإذا أحبه لصلاحه للأمرين، فهو من المحبين في الله.

كما يحب أستاذه الذي يعلمه الدين، ويكفيه مهمات الدنيا بالمواساة في المال، فأحبه من حيث أن طبعه طلب الراحة في الدنيا، والسعادة في الآخرة، وهو وسيلة إليهما، فهو محب في الله وليس من شرط حب الله، أن لا يحب في العاجل حظاً البتة، إذ الدعاء الذي أمر به الأنبياء -صلوات الله عليهم-، فيه جمع بين الدنيا والآخرة.

فمن ذلك قولهم: **ربنا آتنا** في **الدنيا حسنة** وفي **الآخرة حسنة** [البقرة:٢٠١].

وقال عيسى -عليه السلام- في دعائه: «**اللهم لا تشمت** في **عدوي، ولا تسؤ** بي **صديقي، ولا** تجعل **مصيبتي** في **ديني، ولا** تجعل **الدنيا أكبر** همي» فدفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، ولم يقل: لا تجعل الدنيا أصلاً من همي، بل قال: لا تجعل الدنيا أكبر همي.

قال نبينا ﷺ في دعائه: «**اللهم إني أسألك** رحمة **أنال بها شرف كرامتك** في **الدنيا والآخرة**»(١).

وقال: «**اللهم عافني من بلاء الدنيا وعذاب الآخرة**» (٢).

وعلى الجملة، فإذا لم يكن حب السعادة في الآخرة، مناقضاً لحب الله، فحب السلامة والصحة والكفاية والكرامة في الدنيا، كيف يكون مناقضاً لحب الله؟ والدنيا والآخرة عبارة عن حالتين إحداهما أقرب من الأخرى. فكيف يتصور أن يحب الإنسان حظوظ نفسه غداً، ولا يحبها اليوم؟ وإنما يحبها غداً، لأن الغد سيصير حالاً راهنة، والحالة الراهنة لابد وأن تكون مطلوبة أيضاً؛ لأن الحظوظ العاجلة، منقسمة إلى ما يضاد حظوظ الآخرة، ويمنع منها، وهي التي احترز عنها الأنبياء، والأولياء. وأمروا بالاحتراز عنها.

وإلى ما لا يضاد، وهو الذي لم يمتنعوا منه كالنكاح الصحيح، وأكل الحلال وغير ذلك.

فما يضاد حظوظ الآخرة، فحق العاقل أن يكرهه، ولا يحبه، أعني أنه يكرهه بعقله، لا بطبعه، كما يكره التناول من طعام لذيذ لملك من الملوك، يعلم أنه لو أقدم عليه لقطعت يده، أو جزت رقبته، لا لمعنى أن الطعام اللذيذ، يصير بحيث لا يشتهيه ولا يستلذه، لو أكله، فإن ذلك محال، ولكن على معنى أنه يزجره عقله، عن الإقدام عليه، وتحصل فيه كراهة الضرر المتعلق به، والمقصود من هذا، أنه لو أحب أستاذه، لأنه يواسيه ويعلمه، أو تلميذه، لأنه يتعلم منه ويخدمه، وأحدهما حظ عاجل، والآخر آجل، فيكون في زمرة المتحابين في الله، ولكن بشرط واحد، وهو أن يكون بحيث لو

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس ٥/ ٤٨٢.

(٢) رواه أحمد من حديث بشر بن أبي أرطاة. المغني ٢/ ١٦٤.

منعه العلم مثلاً، أو تعذر عليه تحصيله منه، لنقص حبه، بسبب ذلك.

فالقدر الذي ينقص بسبب فقده، فهو لله تعالى، وله على ذلك القدر ثواب الحب في الله تعالى، وليس بمستنكر أن يشتد حبك لإنسان لجملة أغراض ترتبط لك به.

فإن امتنع بعضها نقص حبك، وإن زاد، زاد الحب. فليس حبك الذهب، كحبك للفضة، إذ لا يتساوى مقدارهما، لأن الذهب يوصل إلى أغراض، هي أكثر مما توصل إليه الفضة.

فإذاً يزيد الحب، بزيادة الغرض، ولا يستحيل اجتماع الأغراض الدنيوية والأخروية، فهو داخل في جملة الحب لله وحده.

إذ كل حب لولا الإيمان بالله واليوم الآخر، لم يتصور وجوده، فهو حب في الله تعالى.

وكذلك كل زيادة في الحب، لولا الإيمان بالله تعالى، لم تكن تلك الزيادة.

فتلك الزيادة من الحب في الله تعالى وذلك وإن دق فهو عزيز.

قال الجُريري: تعامل الناس في القرن الأول بالدين، حتى رق الدين، فتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء، حتى ذهب الوفاء، ثم تعاملوا في الثالث بالمروءة، حتى ذهبت المروءة، ولم يبق إلا الرهبة والرغبة.

القسم الرابع:

أن يحب لله، وفي الله، لا لينال منه علماً أو عملاً، أو يتوسل به إلى أمر وراء ذاته، وهذا أعلى الدرجات، وهو أدقها، وأعظمها.

وهذا القسم أيضاً ممكن، بأن من آثار الحب أن يتعدى من المحبوب، إلى كل ما يتعلق بالمحبوب ويناسبه، ولو من بعد.

ومن أحب إنساناً حباً شديداً، أحب محب ذلك الإنسان، وأحب محبوبه، وأحب من يخدمه، وأحب من يثني عليه محبوبه، وأحب من يتسارع إلى رضاء

محبوبه، حتى قال بقية بن الوليد[١]: إن المؤمن، إذا أحب المؤمن، أحب كلبه وهو كما قال. وتشهد له التجربة في أحوال العشاق، وتدل عليه أشعار الشعراء، ولذلك يحفظ ثوب المحبوب تذكرة من جهته، ويحب منـزله ومحلته وجيرانه، حتى قال مجنون بني عامر:

أمر علي الديار ديار سعدى أقبّل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

فإذاً المشاهدة والتجربة، تدل على أن الحب يتعدى من ذات المحبوب، إلى ما يحيط به، ويتعلق بأسبابه ويناسبه، ولو من بعد، ولكن ذلك من خاصة فرط المحبة، فأصل المحبة، لا يكفي فيه، ويكون اتساع الحب في تعديه من المحبوب، إلى ما يكتنفه ويحيط به، ويتعلق بأسبابه، بحسب إفراط المحبة وقوتها.

وكذلك حب الله سبحانه وتعالى، إذا قوي وغلب على القلب واستولى عليه، حتى انتهى إلى حد الاستهتار، فيتعدى إلى كل موجود سواه، فإن كل موجود سواه، أثر من آثار قدرته.

ومن أحب إنساناً، أحب صنعته وخطه وجميع أفعاله، ولذلك كان ﷺ إذا حمل إليه باكورة الثمر، مسح بها عينيه وأكرمها، وقال: «**إنه قريب العهد بربنا**»[٢].

وحب الله تعالى تارة يكون لصدق الرجاء في مواعيده، وما يتوقع في الآخرة من نعيمه، وتارة لما سلف من أياديه، وصنوف نعمته، وتارة لذاته، لا لأمر آخر، وهو أدق ضروب المحبة، وأعلاها.

وسيأتي ذلك في كتاب المحبة في ربع المنجيات إن شاء الله.

وكيف ما اتفقت محبة الله تعالى، فإذا قويت تعدت إلى كل متعلق به، ضرباً

(١) بقية بن الوليد أحد الصوفية الزهاد، تفقه بالأوزاعي، توفي سنة ١٩٩هـ وقيل سنة ١٩٧هـ.

(٢) أخرجه الطبراني في الصغير من حديث ابن عباس، وأبو داود في المراسيل، والبيهقي في الدعوات من حديث أبي هريرة، دون قوله: «وأكرمها» وقال: غير محفوظ. وحديث أبي هريرة في الباكورة عند بقية أصحاب السنن دون «مسح عينيه بها وما بعده». وقال الترمذي حسن ٥/ ٥٠٦.

من التعلق، حتى يتعدى إلى ما هو في نفسه مؤلم مكروه، ولكن فرط الحب، يضعف الإحساس بالألم، والفرح بفعل المحبوب، وقصده إياه بالإيلام يغمر إدراك الألم، وذلك كالفرح بضربة من المحبوب، أو قرصة فيها نوع معاتبة، فإن قوة المحبة تثير فرحاً يغمر الألم فيه.

وقد انتهت محبة الله بقوم إلى أن قالوا لا نفرق بين البلاء والنعمة، فإن الكل من الله، ولا نفرح إلا بما فيه رضاه، حتى قال بعضهم لا أريد أن أنال مغفرة الله بمعصية الله.

وقال سمنون:

وليس لي في **سواك حظ** **فكيفما شئت فاختبرني**

وسيأتي تحقيق ذلك في كتاب المحبة.

ثمرة حب الله

والمقصود أن حب الله، إذا قوى أثمر حب كل من يقوم بحق عباد الله في علم أو عمل، وأثمر حب كل من فيه صفة مرضية عند الله من خلق حسن، أو تأدب بآداب الشرع، وما من مؤمن محب للآخرة، ومحب لله، إذا أخبر عن حال رجلين أحدهما عالم عابد، والآخر جاهل فاسق، إلا وجد في نفسه، ميلاً إلى العالم العابد، ثم يضعف ذلك الميل، ويقوى بحسب ضعف إيمانه وقوته، وبحسب ضعف حبه لله وقوته.

وهذا الميل حاصل، وإنا كان غائبين عنه، بحيث يعلم أنه لا يصيبه منهما خير ولا شر، في الدنيا ولا في الآخرة.

فذلك الميل هو حب في الله تعالى، ولله -عز وجل- من غير حظ، فإنه إنما يحبه، لأن الله يحبه، ولأنه مرضي عند الله تعالى، ولأنه يحب الله تعالى، ولأنه مشغول بعبادة الله تعالى، إلا أنه إذا ضعف لم يظهر أثره، فلا يظهر به ثواب وأجر.

فإذا قوي حمل على الموالاة والنصرة، والذب بالنفس والمال واللسان ويتفاوت الناس فيه، بحسب تفاو م في حب الله، ولو كان الحب مقصوراً على حظ ينال من

المحبوب، في الحال، أو المآل، لما تصور حب الموتى من العلماء والعباد، ومن الصحابة والتابعين، بل من الأنبياء المنقرضين صلوات الله عليهم أجمعين، وحب جميعهم مكتوب في قلب كل مسلم متدين، ويتبين ذلك بغضبه عند طعن أعدائهم في واحد منهم، وبفرحه عند الثناء عليهم، وذكر محاسنهم، فكل ذلك حب لله لأنهم خواص عباد الله، ومن أحب ملكاً أو شخصاً جميلاً، أحب خواصه، وخدمه، وأحب من أحبه.

إلا أنه يمتحن الحب بالمقابلة بحظوظ النفس، وقد يغلب بحيث لا يبقى للنفس حظ، إلا فيما هو حظ المحبوب وعنه عبر قول من قال:

أريد وصاله ويريد هجري فاترك ما أريد لما يريد

وقول من قال:

وما لجرح إذا أرضاكم ألم

وقد يكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ، دون بعض كمن تسمح نفسه بأن يشاطر محبوبه في نصف ماله، أو في ثلثه، أو في عشرة، فمقادير الأموال موازين المحبة، إذ لا تعرف درجة المحبوب، إلا بمحبوب يترك في مقابلته، فمن استغرق الحب جميع قلبه، لم يبق له محبوب سواه، فلا يمسك لنفسه شيئاً، مثل أبي بكر الصديق ﷺ، فإنه لم يترك لنفسه أهلاً، ولا مالاً، فسلم ابنته التي هي قرة عينه، وبذل جميع ماله.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: بينما النبي ﷺ جالس، وعنده أبو بكر ﷺ وعليه عباءة قد خللها على صدره، إذ نـزل جبريل -عليه السلام-، فأقرأه من الله السلام، وقال له: يا رسول الله ما لي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللها على صدره بخلال؟ فقال: أنفق ما له على ما قبل الفتح. قال: فأقرئه من الله السلام، وقل له: يقول لك ربك أراض أنت في فقرك هذا، أم ساخط؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أبي بكر، وقال: يا أبا بكر هذا جبريل يقرئك السلام من الله تعالى، ويقول: أراض أنت عني في فقرك هذا أم ساخط؟. قال: فبكى أبو بكر ﷺ وقال أعلى ربي أسخط؟ أنا عن ربي

راض، أنا عن ربي راض[1].

فحصل من هذا كله، أن كل من أحب عالماً، أو عابداً، أو أحب شخصاً راغباً في علم أو عبادة، أو في خير، فإنما أحبه في الله، ولله، وله فيه من الأجر والثواب، بقدر قوة حبه.

فهذا شرح الحب في الله، ودرجاته، وبه يتضح البغض في الله أيضاً. ولكن نـ زيده بياناً.

بيان البغض في الله

اعلم أن من يحب في الله، لابد وأن يبغض في الله، فإنك إن أحببت إنساناً، لأنه مطيع لله، ومحبوب عند الله، فإن عصاه، فلابد أن تبغضه، لأنه عاص لله، وممقوت عند الله. ومن أحب لسبب، فبالضرورة يبغض لضده، وهذان متلازمان، لا ينفصل أحدهما عن الآخر، وهو مطرد في الحب والبغض في العادات ولكن كل واحد من الحب والبغض داء دفين في القلب، وإنما يترشح عند الغلبة، ويترشح بظهور أفعال المحبين والمبغضين في المقاربة والمباعدة، وفي المخالفة والموافقة، فإذا ظهر في الفعل، سمي موالاة ومعاداة.

ولذلك قال تعالى: «**هل واليت** في **وليا، أو عاديت** في **عدوا**» كما نقلناه، وهذا واضح في حق من لم يظهر لك إلا طاعته، إذا تقدر على أن تحبه، أو لم يظهر لك إلا فسقه وفجوره، وأخلاقه السيئة، فتقدر علي أن تبغضه.

اختلاط الطاعات والمعاصي

وإنما المشكل إذا اختلطت الطاعات بالمعاصي، فإنك تقول: كيف أجمع بين البغض والمحبة، وهما متناقضان؟ وكذلك تتناقض ثمر ـما من الموافقة والمخالفة والموالاة والمعاداة.

فأقول: ذلك غير متناقض في حق الله، كما لا تتناقض في الحظوظ البشرية،

---

(١) أخرجه ابن حبان والعقيلي في الضعفاء قال الذهبي في الميزان: هو كذب. المغني ٢/ ١٦٦ وقال في اللآلئ: موضوع ١/ ٢٩٣.

فإنه مهما اجتمع في شخص واحد خصال، تحب بعضها، وتكره بعضها، فإنك تبغضه من وجه، وتحبه من وجه، فمن له زوجة حسناء فاجرة، أو ولد ذكي خدوم، ولكنه فاسق، فإنه يحبه من وجه، ويبغضه من وجه، ويكون معه على حالة بين حالتيه، إذ لو فرض له ثلاثة أولاد، أحدهم ذكي بار، والآخر بليد عاق، والآخر بليد بار، أو ذكي عاق، فإنه تصادف نفسه معهم على ثلاثة أحوال متفاوتة، بحسب تفاوت خصالهم، فكذلك ينبغي أن يكون حالك بالإضافة إلى من غلب عليه الفجور، ومن غلبت عليه الطاعة،ومن اجتمع فيه كلاهما متفاوتة على ثلاث مراتب وذلك بأن يعطي كل صفة حظها من البغض والحب، والإعراض والإقبال والصحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه.

فإن قلت: فكل مسلم، فإسلامه طاعة منه، فكيف أبغضه مع الإسلام؟

فأقول: تحبه لإسلامه، وتبغضه لمعصيته، فيكون معه على حاله لو قستها بحال كافر فاجر، لأدركت تفرقة بينهما، وتلك التفرقة حب الإسلام، وقضاء لحقه، وقدر الجناية على حق الله، والطاعة له، كالجناية على حقك، والطاعة لك، فمن وافقك على غرض وخالفك في آخر، فكن معه على حاله متوسطة بين الانقباض والاسترسال، وبين الإقبال والإعراض، وبين التودد إليه، والتوحش منه، ولا تبالغ في إكرامه، مبالغتك في إكرام من يوافقك على جميع أغراضك، ولا تبالغ في إهانته، مبالغتك في إهانة من خالفك في جميع أغراضك.

ثم ذلك التوسط، تارة يكون ميله إلى طرف الإهانة، عند غلبة الجناية، وتارة إلى طرف ا املة والإكرام، عند غلبة الموافقة فهكذا ينبغي أن تكون فيمن يطيع الله تعالى ويعصيه، ويتعرض لرضاه مرة، ولسخطه أخرى.

إظهار البغض

فإن قلت: فبماذا يمكن إظهار البغض؟

فأقول: أما في القول، فكف اللسان عن مكالمته ومحادثته مرة، وبالاستخفاف والتغليظ في القول أخرى.

وأما في الفعل، فبقطع السعي في إعانته مرة، وبالسعي في إساءته وإفساد مأربه

أخرى، وبعض هذا أشد من بعض، وهي بحسب درجات الفسق والمعصية الصادرة منه، إما ما يجري مجرى الهفوة التي تعلم أنه متندم عليها، ولا يصر عليها، فالأولى فيه الإغماض والستر، فأما ما أصر عليه من صغيرة أو كبيرة، فإن كان ممن تأكدت بينك وبينه مودة وصحبة وأخوة، فله حكم آخر، وسيأتي فيه خلاف بين العلماء.

وأما إذا لم تتأكد أخوة وصحبة، فلابد من إظهار أثر البغض، إما في الإعراض، والتباعد عنه، وقلة الالتفات إليه وإما في الاستخفاف وتغليظ القول عليه، وهذا أشد من الإعراض، وهو بحسب غلظ المعصية وخفتها، وكذلك في الفعل أيضاً رتبتان: إحداهما قطع المعونة والرفق والنصرة عنه، وهي أقل الدرجات، والآخر، السعي في إفساد أغراضه عليه كفعل الأعداء المبغضين، وهذا لابد منه، ولكن فيما يفسد عليه طريق المعصية.

أما ما لا يؤثر فيه فلا، ومثاله: رجل عصى الله بشرب الخمر، وقد خطب امرأة، لو تيسر له نكاحها: لكان مغبوطاً ا بالمال والجمال والجاه، إلا أن ذلك لا يؤثر في منعه من شرب الخمر، ولا في بعث وتحريض عليه، فإذا قدرت على إعانته، ليتم له غرضه ومقصوده، وقدرت على تشويش أمره، ليفوته غرضه، فليس لك السعي في تشويش أمره.

إما الإعانة، فلو تركتها إظهاراً للغضب عليه في فسقه، فلا بأس، وليس يجب تركها، إذ ربما يكون له نية في أن تتلطف بإعانته، وإظهار الشفقة عليه ليعتقد مودتك، ويقبل نصحك، فهذا حسن. وإن لم تنتظر ذلك، ولكن رأيت أن تعينه على غرضه، قضاء لحق إسلامه، فذلك ليس بممنوع، بل هو الأحسن، إن كانت معصيته بالجناية على حقك، أو حق من يتعلق بك، وفيه نـزل قوله تعالى: **ولا يأتل أُوْلُوا الفَضْلِ مِنكُمْ والسعةِ أن يؤْتوا أُوْلي القُرْبى** إلى قوله تعالى: **ألاَ تحِبونَ أن يغْفِر اللهُ لَكُمْ** [النور: ٢٢].

إذ تكلم مسطح بن أثاثه في واقعة الإفك، فحلف أبو بكر ﷺ أن يقطع عنه رفقه، وقد كان يواسيه بالمال، فنـزلت هذه الآية مع عظم معصية مسطح، وأية معصية تزيد على التعرض لحرم رسول الله ﷺ، وإطالة اللسان في مثل عائشة رضي الله عنها؟.

إلا أن الصديق ﷺ كان كا ني عليه في نفسه، بتلك الواقعة، والعفو عمن ظلم والإحسان إلى من أساء، من أخلاق الصديقين وإنما يحسن الإحسان إلى من ظلمك.

فأما من ظلم غيرك، وعصى الله به، فلا يحسن الإحسان إليه، لأن في الإحسان إلى الظالم، إساءة إلى المظلوم. وحق المظلوم أولى بالمراعاة، وتقوية قلبه بالإعراض عن الظالم، أحب إلى الله من تقوية قلب الظالم، فأما إذا كنت أنت المظلوم، فالأحسن في حقك العفو والصفح. وطرق السلف الصالحين -رضي الله عنهم- قد اختلفت في إظهار البغض مع أهل المعاصي وكلهم اتفقوا على إظهار البغض للظلمة والمبتدعة، وكل من عصى الله تعالى بمعصية متعدية منه إلى غيره.

وأما من عصى الله في نفسه فمنهم من نظر بعين الرحمة إلى العصاة، كلهم ومنهم من شدد الإنكار، واختار المهاجرة فقد كان أحمد بن حنبل ﷺ يهجر الأكابر في أدنى كلمة، حتى هجر يحيى بن معين[١] لقوله: إني لا أسأل أحدا شيئا ولو حمل السلطان إلي شيئاً لأخذته.

وهجر الحارث المحاسبي[٢]، في تصنيفه في الرد على المعتزلة، وقال: إنك تورد أولاً شبهتهم، وتحمل الناس على التفكر فيها، ثم ترد عليهم.

وهجر أبا ثور[٣] في تأويل قوله ﷺ: «**إن الله خلق آدم على صورته**»[٤].

وهذا أمر يختلف باختلاف النية، وتختلف النية باختلاف الحال، فإن كان الغالب على القلب النظر إلى اضطرار الخلق وعجزهم، وأنهم مسخرون لما قدروا له، أورث هذا تساهلا في المعاداة والبغض، وله وجه.

---

(١) يحيى بن معين البغدادي الحافظ، أحد الأعلام وحجة الإسلام، توفي سنة ٢٣٣هـ.

(٢) هو أبو عبد الله الحارث بن أسيد المحاسبي، من المتصوفة الزهاد، وسمي بالمحاسبي، لأنه كان يحاسب نفسه بنفسه، توفي سنة ٢٤٣هـ.

(٣) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، جمع بين علمي الفقه والحديث، أحد الأئمة ا تهدين، والعلماء البارعين، متفق على إمامته وجلاله، توفي سنة ٢٤٠هـ

(٤) رواه مسلم عن أبي هريرة ٤/ ٢٠١٧ وهذا الحديث من أحاديث الصفات.

ولكن تلتبس به المداهنة، فأكثر البواعث على الإغضاء عن المعاصي، المداهنة، ومراعاة القلوب، والخوف من وحشتها ونفارها، وقد يلبس الشيطان ذلك على الغبي الأحمق، بأنه ينظر بعين الرحمة، ومحك ذلك أن ينظر إليه بعين الرحمة، إن جنى على خاص حقه، ويقول: إنه قد سخر له، والقدر لا ينفع منه الحذر، وكيف لا يفعله، وقد كتب عليه؟ فمثل هذا لا تصح له نية، في الإغماض عن الجناية على حق الله وإن كان يغتاظ عند الجناية على حقه ويترحم عند الجناية على حق الله فهو مداهن مغرور بمكيدة من مكائد الشيطان، فليتنبه له.

فإن قلت: فأقل الدرجات في إظهار البغض، الهجر والإعراض، وقطع الرفق والإعانة، فهل يجب ذلك حتى يعصي العبد بتركه؟ فأقول: لا يدخل ذلك في ظاهر العلم، تحت التكليف والإيجاب، فإنا نعلم أن الذين شربوا الخمر وتعاطوا الفواحش في زمان رسول الله ﷺ والصحابة رضي الله عنهم ما كانوا يهجرون بالكلية بل كانوا منقسمين، فيهم من يغلظ القول عليه، ويظهر البغض له، وإلى من يعرض عنه، ولا يتعرض له، وإلى من ينظر إليه بعين الرحمة، ولا يؤثر المقاطعة والتباعد، وهذه دقائق دينية تختلف فيها طرق السالكين لطريق الآخرة، ويكون عمل كل واحد على ما تقتضيه حاله ووقته، ومقتضى الأحوال في هذه الأمور، إما مكروهة وإما مندوبة، فتكون في رتبة الفضائل، ولا تنتهي إلى التحريم والإيجاب، فإن الداخل تحت التكليف، أصل المعرفة لله تعالى، وأصل الحب، وذلك قد لا يتعدى من المحبوب إلى غيره.

وإنما المتعدي إفراط الحب، واستيلاؤه، وذلك لا يدخل في الفتوى، وتحت ظاهر التكليف في حق عوام الخلق أصلاً.

بيان مراتب الذين يبغضون في الله وكيفية معاملتهم

فإن قلت: إظهار العداوة والبغض بالفعل، إن لم يكن واجباً، فلا شك أنه مندوب إليه، والعصاة والفساق على مراتب مختلفة فكيف ينال الفضل بمعاملتهم؟ وهل يسلك بجميعهم مسلكاً واحداً أم لا؟

فاعلم أن المخالف لأمر الله سبحانه، إما أن يكون مخالفاً في عقده، أو في عمله، والمخالف في العقد، إما مبتدع، أو كافر، والمبتدع إما داع إلى بدعته، أو

ساكت، والساكت، إما لعجزه، أو باختياره، فأقسام الفساد في الاعتقاد ثلاثة: الأول: الكفر، والكافر إن كان محارباً، فهو مستحق للقتل، أو الأرقاق، وليس بعد هذين الأمرين إهانة.

وأما الذمي فإنه لا يجوز إيذاؤه إلا بالإعراض عنه، والتحقير له بالاضطرار إلى أضيق الطريق، وبترك المفاتحة بالسلام، فإذا قال السلام عليكم، قلت: وعليك والأولى الكف عن مخالطته ومعاملته ومواكلته. وأما الانبساط معه والاسترسال إليه، كما تسترسل إلى الأصدقاء، فهو مكروه كراهة شديدة، يكاد ينتهي ما يقوى منها إلى حد التحريم.

قال الله تعالى: **لا تجِد قَوْما يؤْمِنونَ بِاللهِ والْيوْمِ الآخِرِ يوادونَ منْ حاد الله ورسولَه ولَوْ كَانوا آباءَهمْ أَوْ أَبناءَهمْ** [المجادلة: ٢٢].

وقال ﷺ: «**المؤمن والمشرك لا تتراءى ناراهما**»[1].

وقال - عز وجل - : **يا أَيها الذِين آمنوا لا تتخِذُوا عدوي وعدوكُمْ أَوْلياءَ** [الممتحنة: ١].

الثاني: المبتدع الذي يدعو إلى بدعته، فإن كانت البدعة بحيث يكفر بها، فأمره أشد من الذمي؛ لأنه لا يقر بجزية، ولا يسامح بعقد ذمة.

وإن كان مما لا يكفر به، فأمره بينه وبين الله أخف من أمر الكافر لا محالة، ولكن الأمر في الإنكار عليه أشد منه على الكافر، لأن شر الكافر غير متعدٍ، فإن المسلمين اعتقدوا كفره، فلا يلتفتون إلى قوله، إذ لا يدعي لنفسه الإسلام، واعتقاد الحق.

أما المبتدع الذي يدعو إلى البدعة، ويزعم أن ما يدعو إليه حق، فهو سبب لغواية الخلق، فشره متعد، فالاستحباب في إظهار بغضه، ومعاداته والانقطاع عنه وتحقيره، والتشنيع عليه ببدعته، وتنفير الناس عنه أشد، وإن سلم في خلوة، فلا بأس برد جوابه.

وإن علمت أن الإعراض عنه والسكوت عن جوابه، يقبح في نفسه بدعته،

(١) رواه الترمذي ٤/ ١٥٥.

ويؤثر في زجره، فترك الجواب أولى، لأن جواب السلام، وإن كان واجباً فيسقط بأدنى غرض فيه مصلحة، حتى يسقط بكون الإنسان في الحمام، أو في قضاء الحاجة، وغرض الزجر أهم من هذه الأغراض.

وإن كان في ملأ، فترك الجواب أولى تنفيراً للناس عنه، وتقبيحاً لبدعته في أعينهم، وكذلك الأولى كف الإحسان إليه والإعانة له، لا سيما فيما يظهر للخلق.

قال -عليه السلام-: «**من انتهر صاحب بدعة، ملأ الله قلبه أمنا وإيماناً، ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم الفزع الأكبر، ومن ألان له وأكرمه، أو لقيه ببشر، فقد استخف بما أنـزل الله على محمد**ﷺ»(١).

الثالث: المبتدع العامي الذي لا يقدر على الدعوة ولا يخاف الاقتداء به، فأمره أهون، فالأولى أن لا يفاتح بالتغليظ والإهانة، بل يتلطف به في النصح، فإن قلوب العوام، سريعة التقلب والانقياد، فإن لم ينفع النصح، وكان في الإعراض عنه تقبيح لبدعته في عينه، تأكد الاستحباب في الإعراض.

وإن علم أن ذلك لا يؤثر فيه لجمود طبعه، ورسوخ عقده في قلبه، فالإعراض عنه أولى، لأن البدعة إذا لم يبالغ في تقبيحها شاعت بين الخلق، وعم فسادها.

وأما المعاصي بفعله وبعمله لا باعتقاده، فلا تخلو، إما أن تكون بحيث يتأذى به غيره كالظلم، والغصب، وشهادة الزور، والغيبة والتضريب بين الناس، والمشي بالنميمة وأمثالها، أو كان مما لا يقتصر عليه، ويؤذي غيره، وذلك ينقسم إلى ما يدعو غيره إلى الفساد كصاحب الماخور، الذي يجمع بين الرجال والنساء، ويهيئ أسباب الشرب والفساد، لأهل الفساد.

أولاً يدعو غيره إلى فعله، كالذي يشرب أو يزني. وهذا الذي لا يدعو غيره، إما أن يكون عصيانه بكبيرة، أو بصغيرة، وكل واحد، فإما أن يكون مصراً عليه، أو غير مصر، فهذه التقسيمات يتحصل منها ثلاثة أقسام: ولكل قسم منها رتبة، وبعضها أشد من بعض، فلا نسلك بالكل مسلكاً واحداً.

---

(١) قال ابن الجوزي والصنعاني: موضوع. ورواه ابن عساكر بنحوه، وروي بألفاظ لا يصح منها شيء، الفوائد المجموعة ص ٥٠٤.

القسم الأول:

وهو أشدها، ما يتضرر به الناس، كالظلم والغضب، وشهادة الزور والغيبة والنميمة، فهؤلاء الأولى الإعراض عنهم، وترك مخالطتهم، والانقباض عن معاملتهم، لأن المعصية شديدة فيما يرجع إلى إيذاء الخلق، ثم هؤلاء ينقسمون إلى من يظلم في الدماء، وإلى من يظلم في الأموال، وإلى من يظلم في الأعراض، وبعضها أشد من بعض، فالاستحباب في إهانتهم، والإعراض عنهم مؤكد جداً، ومهما كان يتوقع من الإهانة زجراً لهم ولغيرهم، كان الأمر فيه آكد وأشد.

والثاني: صاحب الماخور الذي يهيئ أسباب الفساد، ويسهل طرقها على الخلق، فهذا لا يؤذي الخلق في دنياهم، ولكن يختلس بفعله دينهم، فإن كان على وفق رضاهم فهو قريب من الأول، ولكنه أخف منه، فإن المعصية بين العبد وبين الله إلى العفو أقرب.

ولكن من حيث أنه متعد على الجملة إلى غيره، فهو شديد. وهذا أيضاً يقتضي الإهانة، والإعراض، والمقاطعة، وترك جواب السلام، إذا ظن أن فيه نوعاً من الزجر له أو لغيره.

الثالث: الذي يفسق في نفسه، بشرب الخمر، أو ترك واجب، أو مقارفة محظور يخصه، فالأمر فيه أخف، ولكنه في وقت مباشرته، إن صودف، يجب منعه بما يمتنع منه، ولو بالضرب والاستخفاف، فإن النهي عن المنكر واجب، فإذا فرغ منه، وعلم أن ذلك من عادته، وهو مصر عليه، فإن تحقق أن نصحه يمنعه من العودة إليه، وجب النصح، وإن لم يتحقق، ولكنه كان يرجوه، فالأفضل النصح، والزجر، بالتلطف، أو بالتغليظ، إن كان هو الأنفع، فأما الإعراض عن جواب سلامه، والكف عن مخالطته، حيث يعلم أنه يصر، وأن النصح ليس ينفعه، فهذا فيه نظر، وسير العلماء فيه مختلفة، والصحيح أن ذلك يختلف باختلاف نية الرجل، فعند هذا يقال: الأعمال بالنيات، إذ في الرفق والنظر بعين الرحمة إلى الخلق، نوع من التواضع، وفي العنف والإعراض نوع من الزجر، والمستفتى فيه القلب، فما يراه أميل إلى هواه ومقتضى طبعه، فالأولى ضده، إذ قد يكون استخفافه وعنفه عن كبر وعجب والتذاذ

بإظهار العلو والإدلال بالصلاح، وقد يكون رفقه عن مداهنة، واستمالة قلب للوصول به إلى غرض، أو الخوف من تأثير وحشته ونفرته في جاه، أو مال بظن قريب أو بعيد، وكل ذلك مردد على إشارات الشيطان، وبعيد عن أعمال أهل الآخرة، وكل راغب في أعمال الدين مجتهد مع نفسه في التفتيش عن هذه الدقائق، ومراقبة هذه الأحوال(١) والقلب هو المفتي فيه، وقد يصيب الحق في اجتهاده، وقد يخطئ، وقد يقدم على اتباع هواه، وهو عالم به، وقد يقدم وهو بحكم الغرور ظاناً أنه عامل لله، وسالك طريق الآخرة،وسيأتي بيان هذه الدقائق في كتاب الغرور من ربع المهلكات. ويدل على تخفيف الأمر في الفسق الظاهر الذي هو بين العبد وبين الله، ما روي أن شارب خمر ضرب مرات بين يدي رسول الله ﷺ وهو يعود، فقال واحد من الصحابة: لعنه الله ما أكثر ما يشرب، فقال ﷺ: «**لا تكن عوناً للشيطان على أخيك**»(٢)، أو لفظ هذا معناه وكان هذا إشارة إلى أن الرفق أولى من العنف والتغليظ(٣).

بيان الصفات المشروطة فيمن تختار صحبته

اعلم أنه لا يصلح للصحبة كل إنسان، قال النبي ﷺ «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**» (٤).

---

(١) الحال: هو ما يرد على القلب من غير تعمد ولا اجتلاب، ومن شرطه أن يزول، ويعقبه المثل وإن يبقى ولا يعقبه المثل فمن أعقبه بالمثل، قال: بدوامه، ومن لم يعقبه المثل قال: بعدم دوامه، وقد قيل الحال: تغير الأوصاف على العبد. التعريفات للجرجاني ص ٢٣٤.

(٢) رواه البخاري، التجريد الصريح ٢/ ١٥٠.

(٣) قال تعالى: وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها [النساء: ٨٦] فرد التحية واجب شرعي وإنساني، وعدم رد السلام والقطيعة، يوغر الصدر، أكثر، ويدفع الإنسان إلى ما لا تحمد عقباه، والأفضل الإرشاد والتبصير، والأخذ بيد المخطيء، دون قطعه عن المجتمع، حتى يصلح حاله، فإن استمر المسيء وعاند ولم ينفع معه شيء طبق عليه القانون. إذ لو فتح باب القطيعة بسبب الأخطاء، لدخلت أمور كثيرة، تخرج المجتمع عن روح التسامح والتكافل والسمو الذي اشتهر به المجتمع الإسلامي.

(٤) رواه الترمذي ٥٨٩/٤، وأبو داود ٢٥٩/٤ قال ابن الجوزي: موضوع. انظر الفوائد المجموعة ص٢٦٠، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٤.

فلابد وأن يتميز بخلال وصفات يرغب بسببها في صحبته، وتشترط تلك الخصال بحسب الفوائد المطلوبة من الصحبة، إذ معنى الشرط، ما لا بد منه للوصول إلى المقصود، فبالإضافة إلى المقصود تظهر الشروط، ويطلب من الصحبة فوائد دينية ودنيوية.

أما الدنيوية، فكالانتفاع بالمال والجاه، والاستئناس بالمشاهدة والمجاورة، وليس ذلك من غرضنا.

وأما الدينية فيجتمع فيها أيضاً أغراض مختلفة، إذ منها: الاستفادة من العلم والعمل.

ومنها: الاستفادة من الجاه تحصناً به عن إيذاء من يشوش القلب، ويصده عن العبادة.

ومنها: استفادة المال، للاكتفاء به عن تضييع الأوقات في طلب القوت.

ومنها: الاستعانة في المهمات لتكون عدة في المصائب، وقوة في الأحوال.

ومنها: التبرك بمجرد الدعاء.

ومنها: انتظار الشفاعة في الآخرة، فقد قال بعض السلف: استكثروا من الإخوان، فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك.

ويروى في غريب التفسير في قوله تعالى: **ويَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ** [الشورى : ٢٦] قال: يشفعهم في إخوانهم، فيدخلهم الجنة معهم.

ويقال: إذا غفر الله للعبد شفع في إخوانه، ولذلك، حث جماعة من السلف، على الصحبة والألفة والمخالطة، وكرهوا العزلة، والانفراد. فهذه فوائد تستدعي كل فائدة شروطاً، لا تحصل إلا بها، ونحن نفصلها.

أما على الجملة: فينبغي أن تكون فيمن تؤثر صحبته خمس خصال: أن يكون عاقلاً حسن الخلق، غير فاسق ولا مبتدع، ولا حريص على الدنيا.

أما العقل، فهو رأس المال، وهو الأصل، فلا خير في صحبة الأحمق، فإلى القطيعة والوحشة ترجع عاقبتها وإن طالت.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

فلا تصحب أخا الجهل وإيـاك وإيـاه
فكم من جاهل أردى حليماً حين آخاه
يقاس المـرء بالمـرء إذا ما المرء ماشاه
وللشيء مـن الشـيء مقاييس وأشبـاه
وللقلب على القلـب دليل حين يلقـاه
وذو العقـل إذا أبصر ما يخشى توقـاه

كيف والأحمق قد يضرك، وهو يريد نفعك وإعانتك من حيث لا يدري، ولذلك قال الشاعر:

إني لآمن من عدو عاقل وأخاف خلاً يعتريه جنون
فالعقل فن واحد وطريقه أدري وأرصد والجنون فنون

ولذلك قيل: مقاطعة الأحمق قربان إلى الله تعالى. وقال الثوري: النظر إلى وجه الأحمق خطيئة مكتوبة ونعني بالعاقل الذي يفهم الأمور على ما هي عليه، إما بنفسه وإما إذا فُهم وعلم.

وأما حسن الخلق، فلابد منه إذ رب عاقل يدرك الأشياء، على ما هي عليه، ولكن إذا غلبه غضب، أو شهوة، أو بخل، أو جبن أطاع هواه، وخالف ما هو المعلوم عنده، لعجزه عن قهر صفاته، وتقويم أخلاقه، فلا خير في صحبته.

وأما الفاسق المصر على الفسق، فلا فائدة في صحبته، لأن من يخاف الله، لا يصر على كبيرة، ومن لا يخاف الله، لا تؤمن غائلته، ولا يوثق بصداقته، بل يتغير بتغير الأغراض، وقد قال تعالى: **ولا تطِعْ منْ أغْفَلْنا قَلْبه عن ذِكْرِنا واتبع هواه** [الكهف: ٢٨] وقال تعالى: **فَلا يصدنك عنْها من لا يؤْمِن بِها واتبع هواه** [طه: ١٦].

وقال تعالى: **فَأعْرِضْ عن من تولى عن ذِكْرِنا ولَمْ يرِدْ إلا الحَياةَ الدنْيا** [النجم: ٢٩]

وقال تعالى: **واتبِعْ سبِيلَ منْ أناب إليّ** [لقمان: ١٥] وفي مفهوم ذلك

زجر عن الفاسق.

وأما المبتدع، ففي صحبته خطر سراية البدعة، وتعدي شؤمها إليه.

فالمبتدع مستحق للهجر والمقاطعة، فكيف تؤثر صحبته؟

وقد قال عمر رضي الله عنه في الحث على طلب التدبر في الصديق، فيما رواه سعيد بن المسيب: قال: عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك، ما يغلبك منه واعتزل عدوك واحذر صديقك إلا الأمين من القوم، ولا أمين إلا من خشى الله، ولا تصحب الفاجر، فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله.

وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي(١) في وصيته لأبنه لما حضرته الوفاة، فقال: يا بني إن عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة، فاصحب من إذا خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مانك، اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها، وإن رأى سيئة سدها.

اصحب من إذا سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نـزلت بك نازلة واساك، اصحب من إذا قلت، صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن تنازعتما آثرك. فكأنه جمع ـذا جميع حقوق الصحبة، وشرط أن يكون قائماً بجميعها.

قال ابن أكثم، قال المأمون: فأين هذا؟ قيل له: أتدري لم أوصاه بذلك؟ قال؟ لا. قيل: لأنه أراد أن لا يصحب أحداً.

وقال بعض الأدباء: لا تصحب من الناس، إلا من يكتم سرك، ويستر عيبك، ويكون معك في النوائب، ويؤثرك في الرغائب، وينشر حسنتك، ويطوي سيئتك، فإن لم تجده، فلا تصحب إلا نفسك.

وقال علي رضي الله عنه:

إن أخاك الحق من كان معك ... ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب زمان صدعك ... شتت فيه شمله ليجمعك

(١) هو علقمة بن عمرو بن الحصين العطاردي الكوفي صدوق له غرائب.

وقال بعض العلماء: لا تصحب إلا أحد رجلين: رجل تتعلم منه شيئاً من أمر دينك، فينفعك أو رجل تعلمه شيئاً من أمر دينه فيقبل منك.

والثالث، فاهرب منه.

وقال بعضهم: الناس أربعة:

فواحد حلو كله، فلا تشبع منه، وآخر مر كله، فلا يؤكل منه.

وآخر فيه حموضة، فخذ من هذا، قبل أن يأخذ منك، وآخر فيه ملوحة، فخذ منه وقت الحاجة فقط.

وقال جعفر الصادق[1] ﷺ: لا تصحب خمسة:

الكذاب، فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب، يقرب منك البعيد، ويبعد عنك القريب.

والأحمق، فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك، فيضرك.

والبخيل، فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

والجبان، فإنه يسلمك ويفر، عند الشدة.

والفاسق، فإنه يبيعك بأكلة، أو أقل منها. فقيل: ما أقل منها؟ فقال: الطمع فيها، ثم لا ينالها.

وقال الجنيد: لأن يصحبني فاسق حسن الخلق، أحب إلي من أن يصحبني قارئ سيئ الخلق.

وقال أحمد بن أبي الحواري[2]: قال لي أستاذي أبو سليمان: يا أحمد لا تصحب إلا أحد رجلين رجل ترتفق به في أمر دنياك. ورجل تزيد به معرفة، وتنتفع به في آخرتك، والاشتغال بغير هذين، حمق كبير.

وقال سهل بن عبد الله التستري: اجتنب صحبة ثلاثة من أصناف الخلق:

---

(١) هو جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، كان يلقب بالصابر والفاضل والطاهر، وأشهر ألقابه الصادق، توفي سنة ١٤٨هـ.

(٢) هو أبو الحسين أحمد بن أبي الحواري، صحب أبا سليمان الداراني وسفيان بن عيينة، وجماعة من المشايخ، توفي سنة ٢٣٠هـ.

قال الجنيد: أحمد بن أبي الحواري، ريحانة الشام. طبقات الشعراني ١/ ٨٢.

الجبابرة الغافلين، والقراء المداهنين، والمتصوفة الجاهلين.

واعلم أن هذه الكلمات، أكثرها غير محيطة بجميع أغراض الصحبة، والمحيط ما ذكرناه، من ملاحظة المقاصد، ومراعاة الشروط، بالإضافة إليها.

فليس ما يشترط للصحبة في مقاصد الدنيا مشروطاً في الصحبة للآخرة.

والأخوة كما قال بشر(١): الإخوان ثلاثة: أخ لآخرتك، وأخ لدنياك، وأخ لتأنس به.

وقل ما تجتمع هذه المقاصد في واحد، بل تتفرق على جمع فتتفرق الشروط فيهم لا محالة.

وقد قال المأمون: الإخوان ثلاثة:

أحدهم: مثله مثل الغذاء، لا تستغني عنه.

والآخر: مثله مثل الدواء تحتاج إليه في وقت دون وقت.

والآخر: مثله مثل الداء، لا تحتاج إليه قط. لكن العبد قد يبتلى به، وهو الذي لا أنس فيه، ولا نفع.

وقد قيل: مثل جملة الناس، كمثل الشجر والنبات، فمنها: ما له ظل، وليس له ثمر، وهو مثل الذي ينفع في الدنيا دون الآخرة، فإن نفع الدنيا، كالظل السريع الزوال.

ومنها: ما له ثمرة، وليس له ظل، وهو مثل الذي يصلح للآخرة، دون الدنيا.

ومنها: ما له ثمر وظل جميعاً، فيصلح للدنيا والآخرة جميعاً.

ومنها: ما ليس له واحد منها كأم غيلان(٢) تمزق الثياب، ولا طعم فيها، ولا شراب. ومثاله من الحيوانات الفأرة، والعقرب.

كما قال الله تعالى: **يدْعوا لمن ضره أقْرب مِن نفْعِهِ لَبِئْس المَوْلى ولَبِئْس العشِير** [الحج: ١٣].

---

(١) بشر بن الحارث أبو نصر الحافي، سكن بغداد، ومات بها سنة ٢٢٧هـ، صحب الفضيل ابن عياض، كان عالماً ورعاً كبير الشأن، أوحد زمانه علماً وحالاً.

(٢) أم غيلان: شجر السمر. مختار الصحاح ص ٤٨٧.

وقال الشاعر:

الناس شتى إذا ما أنت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر

هذا له ثمر حلو مذاقـ ـ ـته وذاك ليس له طعم ولا ثمـ ـ ـر

فإذًا من لم يجد رفيقاً يؤاخيه، ويستفيد به أحد هذه المقاصد، فالوحدة أولى به.

قال أبو ذر[1]: الوحدة خير من الجليس السوء، والجليس الصالح، خير من الوحدة، ويروى مرفوعاً.

وأما الديانة، وعدم الفسق، فقد قال تعالى: **واتبِعْ سبِيلَ منْ أناب إليَ** [لقمان: ١٥] ولأن مشاهدة الفسق والفساق، تهون أمر المعصية على القلب، وتبطل نفرة القلب عنها.

قال سعيد بن المسيب: لا تنظروا إلى الظلمة، فتحبط أعمالكم الصالحة، بل هؤلاء لا سلامة في مخالطتهم، وإنما السلامة في الانقطاع عنهم، قال تعالى: **وإذَا خاطَبهم الجَاهِلُونَ قَالُوا سلاما** [الفرقان: ٦٣] أي سلامة، والألف بدل من الهاء، ومعناه، إنا سلمنا من إثمكم، وأنتم سلمتم من شرنا.

فهذا ما أردنا أن نذكره في معنى الأخوة، وشروطها وفوائدها، فلنرجع إلى ذكر حقوقها ولوازمها، وطرق القيام بحقها.

وأما الحريص على الدنيا، فصحبته سم قاتل، لأن الطباع مجبولة على التشبه بالصاحب، والاقتداء به، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لا يدري صاحبه، فمجالسة الحريص على الدنيا، تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد، تزهد في الدنيا، فلذلك تكره صحبة طلاب الدنيا وتستحب صحبة الراغبين في الآخرة.

وقال علي ﷺ: أحيوا الطاعات بمجالسة من يستحيا منه.

---

(١) هو أبو ذر الغفاري جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل من كبار الصحابة، خامس المسلمين، كان كريماً، ضرب به المثل في الصدق.

وقال أحمد بن حنبل ﵁: ما أوقعني في بلية، إلا صحبة من لا أحتشم منه.

وقال لقمان لابنه: يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك فإن القلوب لتحيا بالحكمة، كما تحيا الأرض الميتة، بوابل القطر.

الباب الثاني

في حقوق الأخوة والصحبة

اعلم أن عقد الأخوة رابطة بين الشخصين، كعقد النكاح بين الزوجين، وكما يقتضي النكاح حقوقاً، يجب الوفاء بها، قياماً بحق النكاح، كما سبق ذكره في كتاب آداب النكاح، فكذا عقد الأخوة فلأخيك عليك حق في المال، وفي النفس، وفي اللسان، وفي القلب بالعفو، وبالدعاء، وبالإخلاص، والوفاء، وبالتخفيف، وترك التكلف والتكليف، يجمعه ثمانية حقوق.

الحق الأول: في المال

قال رسول الله ﷺ: «**مثل الأخوين، مثل اليدين تغسل إحداهما الأخرى**». إنما شبههما باليدين، لا باليد والرجل، لأنهما يتعاونان على غرض واحد، وكذلك الإخوان، إنما تتم إخوتهما، إذا ترافقا في مقصد واحد، فهما من وجه كالشخص الواحد، وهذا يقتضي المساهمة في السراء والضراء، والمشاركة في الحال والمال، وارتفاع الاختصاص والاستبشار والمواساة بالمال، مع الأخوة على ثلاث مراتب، أدناها، أن تنـزله منـزلة عبدك، أو خادمك، فتقوم بحاجته من فضل مالك، فإذا سنحت له حاجة، وكانت عندك فضلة على حاجتك أعطيته ابتداءً، ولم تحوجه إلى السؤال فإن أحوجته إلى السؤال، فهو غاية التقصير في حق الأخوة.

الثانية: أن تنـزله منـزلة نفسك، وترضى بمشاركته إياك في مالك، ونـزوله منـزلتك، حتى تسمح بمشاطرته في المال.

قال الحسن: كان أحدهم يشق إزاره بينه وبين أخيه باثنين.

الثالثة: وهي العليا، أن تؤثره على نفسك، وتقدم حاجته على حاجتك، وهذه رتبة الصديقين، ومنتهى درجات المتحابين، ومن ثمار هذه الرتبة الإيثار بالنفس أيضاً، كما روي أنه سعى بجماعة من الصوفية، إلى بعض الخلفاء، فأمر بضرب رقابهم، وفيهم أبو الحسين النوري[1]، فبادر إلى السياف، ليكون هو أول مقتول، فقيل له: في

(١) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المنشأ والمولد، يعرف بابن البغوي، كان من

ذلك. فقال: أحببت أن أوثر إخواني بالحياة في هذه اللحظة. فكان ذلك سبب نجاة جميعهم في حكاية طويلة.

فإن لم تصادف نفسك في رتبة من هذه الرتب، مع أخيك، فاعلم أن عقد الأخوة، لم ينعقد بعد في الباطن، وإنما الجاري بينكما مخالطة رسمية، لا وقع لها في العقل والدين.

فقد قال ميمون بن مهران[1]: من رضي من الإخوان، بترك الأفضال، فليؤاخ أهل القبور.

وأما الدرجة الدنيا، فليست أيضاً مرضية، عند ذوي الدين.

وروي أن عتبة الغلام، جاء إلى منـزل رجل، كان قد آخاه، فقال: أحتاج من مالك إلى أربعة آلاف درهم. فقال: خذ ألفين. فأعرض عنه، وقال: آثرت الدنيا على الله، أما استحييت أن تدعى الأخوة في الله، وتقول هذا[2]؟

=

جملة المشايخ وعلماء القوم، لم يكن في وقته أحسن طريقة منه، ولا ألطف كلاماً منه، صحب سريا السقطي، ومحمد بن القصاب، وكان من أقران الجنيد، توفي سنة ٢٩٥هـ. طبقات الشعراني ١/ ٨٧، البداية والنهاية ١١/ ١٠٦.

(١) ميمون بن مهران من الزهاد الذين وصفوا بالحكمة والدين طبقات الشعراني ١/٤٠.

(٢) هذا من خلق الصوفية وهم خاصة المجتمع، ولهم أسلوبهم الخاص في التفاعل مع الحياة، ولكن ذلك لا يطلب من جميع الناس، وقد جاءت الشريعة الإسلامية مخاطبة جميع البشر، واضعة الحد الأدنى الذي يضمن سير المجتمع، سيراً طبيعياً، وفي مختلف العصور والظروف، ومن رام المزيد بالخير أمامه، مهما فعل.

ففي موضوع الدين، ركزت الشريعة على الاتفاق بين الدائن والمدين، مع بيان مقدار المال، وأجله، وكيفية تسديده، بل وحتى مكانه، ثم أمرت بكتابته، والإشهاد عليه، لئلا تقرن العلاقات الإنسانية، عرضة لتلاعب البعض، مما يسبب فقدان الثقة، ثم قطع سبيل المعروف، بين العباد.

فالدائن ليس ملزماً بالإقراض أصلاً، فمن حقه أن يرفض، فبالأولى أن يعطي بعض المطلوب، ومن حقه أن يطلب الضمان، والتوثيق، ومع ذلك، نسب الله تعالى الدين لنفسه، تشجيعاً على عمل الخير، حيث قال تعالى: من ذَا الذِي يقْرِض الله قَرضا حسنا فَيضاعِفَه
=

ومن كان في الدرجة الدنيا من الأخوة، ينبغي أن لا تعامله في الدنيا.

قال أبو حازم: إذا كان لك أخ في الله، فلا تعامله في أمور دنياك، وإنما أراد به، من كان في هذه الرتبة.

وأما الرتبة العليا: فهي التي وصف الله المؤمنين ا في قوله تعالى: **وأمْرهمْ شورى بْينهمْ ومِما رزقْناهمْ ينفِقُونَ** [الشورى: ٣٨] أي: كانوا خلطاء في الأموال، لا يميز بعضهم رحله عن بعض.

وكان منهم من لا يصحب من قال: نعلي لأنه أضافه إلى نفسه.

وجاء فتح الموصلي إلى منـزل أخ له، وكان غائباً، فأمر جاريته، فأخرجت صندوقه، ففتحه وأخذ حاجته، فأخبرت الجارية مولاها، فقال لها: إن صدقت، فأنت حرة لوجه الله تعالى سروراً بما فعل.

وجاء رجل إلى أبي هريرة ﷺ وقال: إني أريد أن أواخيك في الله. فقال: أتدري ما حق الإخاء؟ قال: عرفني. قال: أن لا تكون أحق بدينارك ودرهمك مني قال: لم أبلغ هذه المنـزلة بعد. قال فاذهب عني.

وقال علي بن الحسين رضي الله عنهما، لرجل: هل يدخل أحدكم يده في كم أخيه، أو كيسه، فيأخذ منه ما يريد، من غير إذن؟ قال: لا. قال: فلستم بإخوان.

ودخل قوم على الحسن ﷺ فقالوا: يا أبا سعيد، أصليت. قال: نعم. قالوا: فإن أهل السوق لم يصلوا بعد. قال: ومن يأخذ دينه عن أهل السوق؟ وبلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم !قاله كالمتعجب منه.

وجاء رجل إلى إبراهيم بن أدهم، وهو يريد بيت المقدس، فقال له: إني أريد أن أرافقك، فقال له إبراهيم: على أن أكون أملك لشيئك منك. فقال: لا. قال: أعجبني صدقك.

وكان إبراهيم بن أدهم، إذا رافقه أحد، لم يخالفه، وكان لا يصاحب إلا من

=

له [البقرة ٢٤٥].

وقال تعالى: يا أيها الذِين آمنوا إذَا تداينتم بِدينٍ إلى أجلٍ مسمّى فَاكْتبوه [البقرة:٢٨٢].

يوافقه.

وصحبه رجل شراك، فأهدى رجل إلى إبراهيم بن أدهم، في بعض المنازل، قصعة من ثريد، ففتح جراب رفيقه، وأخذ حزمة من شراكه، فجعلها في القصعة، وردها إلى صاحب الهدية، فلما جاء رفيقه، قال: أين الشراك؟ قال: ذلك الثريد الذي أكلته أيش كان؟ قال: كنت تعطيه شراكين، أو ثلاثة. قال: اسمح، يسمح لك.

وأعطى مرة حماراً كان لرفيقه، بغير إذنه، رجلاً رآه راجلاً، فلما جاء رفيقه سكت، ولم يكره ذلك.

وقال ابن عمر رضي الله عنهما:أُهدي لرجل من أصحاب رسول الله ﷺ رأس شاة. فقال: أخي فلان أحوج مني إليه، فبعث به إليه، فبعثه ذلك الإنسان إلى آخر، فلم يزل يبعث به واحد إلى آخر، حتى رجع إلى الأول، بعد أن تداوله سبعة.

وروى أن مسروقاً إدان ديناً ثقيلاً، وكان على أخيه خيثمة دين، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة، وهو لا يعلم، وذهب خيثمة، فقضى دين مسروق، وهو لا يعلم.

ولما آخى رسول الله ﷺ بين عبد الرحمن بن عوف[١] وسعد بن الربيع[٢]، آثره بالمال والنفس، فقال: يا سعد، بارك الله لك فيهما، فآثره بما آثره به، وكأنه قبله ثم آثره به، وذلك مواساة والبداية إيثار، والإيثار أفضل من المواساة.

وقال أبو سليمان الداراني: لو أن الدنيا كلها لي، فجعلتها في فم أخ من إخواني، لاستقللتها له.

وقال أيضاً: إني لألقم اللقمة أخاً من إخواني، فأجد طعمها في حلقي.

---

(١) هو عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف القرشي الزهري أبو محمد، كان أحد الستة من أصحاب الشورى، الذين جعل عمر بن الخطاب الخلافة فيهم، وقد أخرج نفسه، واختار عثمان وكان تاجراً مقتدراً توفي سنة ٣٢هـ.

(٢) هو سعد بن الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك بن امرئ القيس، أحد النقباء الأثنى عشر، شهد العقبة، وكان كاتباً في الجاهلية، واستشهد في معركة أحد.

فضل الإنفاق على الإخوان

ولما كان الإنفاق على الإخوان، أفضل من الصدقات على الفقراء، قال علي ﷺ: العشرون درهماً أعطيها أخي في الله، أحب إلي من أن أتصدق بمائة درهم على المساكين.

وقال أيضاً: لأن أصنع صاعاً من طعام، وأجمع عليه إخواني في الله، أحب إلي من أن أعتق رقبة.

واقتداء الكل في الإيثار برسول الله ﷺ فإنه دخل غيضة مع بعض أصحابه، فأجتنى منها سواكين، أحدهما معوج والآخر مستقيم، فدفع المستقيم إلى صاحبه، وأمسك لنفسه المعوج، فقال له: يا رسول الله، كنت والله أحق بالمستقيم مني. فقال ﷺ «**ما من صاحب يصحب صاحباً، لو ساعة من نهار، إلا سئل عن صحبته، هل أقام فيها حق الله، أم أضاعه**»[1].

فأشار بهذا إلى أن الإيثار هو القيام بحق الله في الصحبة.

وخرج رسول الله ﷺ إلى بئر يغتسل عندها، فأمسك حذيفة بن اليمان الثوب على رسول الله ﷺ وستره، حتى اغتسل، ثم جلس حذيفة ليغسل، فتناول رسول الله ﷺ الثوب وقام يستر حذيفة عن الناس فأبى حذيفة، وقال: بأبي أنت وأمي، يا رسول الله، لا تفعل، فأبى رسول الله ﷺ، إلا أن يستره بالثوب حتى اغتسل.

وقال ﷺ: «**ما اصطحب اثنان قط إلا كان أحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه**»[2].

وروي أن مالك بن دينار، ومحمد بن واسع، دخلا منزل الحسن، وكان غائباً، فأخرج محمد بن واسع سلة فيها طعام، من تحت سرير الحسن، فجعل يأكل فقال له مالك: كف يدك حتى يجيء صاحب البيت، فلم يلتفت محمد إلى قوله، وأقبل على الأكل وكان مالك، أبسط منه، وأحسن خلقاً، فدخل الحسن، وقال: يا مويلك، هكذا كنا لا يحتشم بعضنا من بعض، حتى ظهرت أنت وأصحابك. وأشار

---

(1) قال العراقي: لم أقف له على أصل. المغني ٢/ ١٧٥. وقال الشوكاني في إسناده كذاب.

(2) قال العراقي: لم أجده. المغني ٢/ ١٧٥.

ـذا إلى الانبساط، في بيوت الإخوان من الصفاء في الأخوة. كيف وقد قال الله تعالى: **أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحه أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْس عَلَيْكُمْ جنَاحٌ أَن تأْكُلُوا جمِيعا أَوْ أَشْتَاتا** [النور: ٦١] إذا كان الأخ يدفع مفاتيح بيته إلى أخيه، ويفوض إليه التصرف كما يريد، وكان أخوه يتحرج عن الأكل بحكم التقوى، حتى أنـزل الله هذه الآية، وأذن لهم في الانبساط في طعام الإخوان والأصدقاء.

الحق الثاني: في الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات، والقيام بـا قبل السؤال، وتقديمها على الحاجات الخاصة

وهذه أيضاً لها درجات، كالمواساة بالمال.

فأدناها القيام بالحاجة عند السؤال والقدرة، ولكن مع البشاشة والاستبشار، وإظهار الفرح، وقبول المنة.

قال بعضهم: إذا استقضيت أخاك الحاجة، فلم يقضها، فذكره ثانية فلعله أن يكون قد نسى، فإن لم يقضها، فكبر عليه، واقرأ عليه هذه الآية، **والموتى يبعثهم الله** [الأنعام: ٣٦].

وقضى ابن شبرمة[1] حاجة لبعض إخوانه كبيرة، فجاءه ـدية، فقال: ما هذا؟ فقال: لما أسديته إلي. فقال: خذ مالك عافاك الله. إذا سألت أخاك حاجة، فلم يجهد نفسه في قضائها، فتوضأ للصلاة، وكبر عليه أربع تكبيرات، وعده في الموتى.

وقال جعفر بن محمد: إني لأتسارع إلى قضاء حوائج أعدائي، مخافة أن أردهم، فيستغنوا عني. هذا في الأعداء فكيف في الأصدقاء؟

وكان في السلف من يتفقد عيال أخيه وأولاده، بعد موته أربعين سنة، يقوم بحاجا ـم، ويتردد كل يوم عليهم، ويمونهم بماله، فكانوا لا يفقدون من أبيهم، إلا عينه، بل كانوا يرون منه، ما لم يروا من أبيهم في حياته، وكان الواحد منهم، يتردد إلى باب دار أخيه، ويسأل ويقول: هل من حاجة، هل لكم زيت، هل لكم ملح،

(١) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان الضبي من أكابر فقهاء الكوفة، توفي سنة ١٤٤هـ.

هل لكم حاجة؟

فكان يقوم ا من حيث لا يعرفه أخوه، و ذا تظهر الشفقة والأخوة، وإذا لم تثمر الشفقة، حتى يشفق على أخيه، كما يشفق على نفسه، فلا خير فيها.

قال ميمون بن مهران: من لم تنتفع بصداقته، لم تضرك عداوته.

وقال ﷺ: «**ألا وإن لله أواني في أرضه، وهي القلوب، وأحب الأواني إلى الله أصفاها وأصلبها وأرقها أصفاها من الذنوب، وأصلبها في الدين، وأرقها على الإخوان**»(١).

وبالجملة، فينبغي أن تكون حاجة أخيك، مثل حاجتك، أو أهم من حاجتك.

وأن تكون متفقدا لأوقات الحاجة، غير غافل عن أحواله، كما لا تغفل عن أحوال نفسك، وتغنيه عن السؤال وإظهار الحاجة إلى الاستعانة،بل تقوم بحاجته، كأنك لا تدري، أنك قمت ا، ولا ترى لنفسك حقاً بسبب قيامك ا، بل تتقلد منه بقبوله سعيك في حقه، وقيامك بأمره، ولا ينبغي أن تقتصر على قضاء الحاجة، بل تجتهد في البداية بالإكرام في الزيادة والإيثار، والتقدم على الأقارب والولد.

كان الحسن يقول: إخواننا أحب إلينا، من أهلينا وأولادنا، لأن أهلنا وأولادنا، يذكروننا بالدنيا وإخواننا يذكروننا بالآخرة.

وقال الحسن: من شيع أخاه في الله، بعث الله ملائكة من تحت عرشه يوم القيامة، يشيعونه إلى الجنة.

وفي الأثر، ما زار رجل أخا في الله، شوقاً إلى لقائه، إلا ناداه ملك من خلفه، طبت وطابت لك الجنة.

وقال عطاء: تفقدوا إخوانكم بعد ثلاث: فإن كانوا مرضى فعودوهم، أو مشاغيل فأعينوهم، أو كانوا نسوا فذكروهم.

ويروى أن ابن عمر -رضي الله عنهما- كان يلتفت يميناً وشمالاً بين يدي رسول الله ﷺ فسأله عن ذلك، فقال: أحببت رجلاً، فأنا أطلبه، ولا أراه، فقال: «**إذا أحببت أحداً فاسأله عن اسمه، واسم أبيه، وعن منـزله، فإن كان مريضاً**

---

(١) أخرجه الطبراني من حديث أبي عتبة الخولاني إلا أنه قال: ألينها وأرقها المغني ٢/ ١٥٧.

عدته، وإن كان مشغولاً أعنته» وفي رواية عن اسم جده وعشيرته.

وقال الشعبي[١] في الرجل يجالس الرجل، فيسأل عنه، فيقول: أعرف وجهه، ولا أعرف اسمه: تلك معرفة الموتى.

وقيل لابن عباس: من أحب الناس إليك؟ قال: جليسي.

وقال: ما اختلف رجل إلى مجلسي ثلاثاً، من غير حاجة له إلي، فعلمت ما مكافأته من الدنيا.

وقال سعيد بن العاص: لجليسي علي ثلاثة حقوق: إذا دنا رحبت به، وإذا حدث أقبلت عليه، وإذا جلس أوسعت له. وقد قال تعالى: **رحماءُ بيْنهمْ** [الفتح: ٢٩] إشارة إلى الشفقة والإكرام، ومن تمام الشفقة، ألا ينفرد بطعام لذيذ، أو بحضور في مسرة دونه، بل يتنغص لفراقه، ويستوحش بانفراده عن أخيه.

الحق الثالث:

على اللسان بالسكوت مرة، والنطق أخرى.

أما السكوت، فهو أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضرته وغيبته، بل يتجاهل عنه، ويسكت عن الرد عليه، فيما يتكلم به، ولا يماريه، ولا ينافسه، وأن يسكت عن التجسس، والسؤال عن أحواله.

وإذا رآه في طريق، أو حاجة، لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره ومورده، ولا يسأله عنه، فربما يثقل عليه ذكره، أو يحتاج إلى أن يكذب فيه، وأن يسكت عن أسراره التي بثها إليه، فلا يبثها إلى غيره البتة، ولا إلى أخص أصدقائه، ولا يكشف شيئاً منها، ولو بعد القطيعة والوحشة، فإن ذلك من لؤم الطبع، وخبث الباطن، وأن يسكت عن القدح في أحبابه وأهله وولده، وأن يسكت عن حكاية قدح غيره فيه، فإن الذي سبك من بلغك.

وقال أنس [٢] رضي الله عنه: كان النبي ﷺ لا يواجه أحداً بشيء يكرهه.

---

(١) هو عامر بن شراحيل بن عبد الشعبي التابعي من همدان، كان من الفقهاء في الدين، ومن القضاة المشهورين. أدرك عدداً كبيراً من الصحابة، توفي سنة ١٠٤هـ.

(٢) هو أنس بن مالك بن النصر الأنصاري الصحابي، خدم رسول الله ﷺ عشر سنين، فروي

والتأذي يحصل أولاً من المبلغ، ثم من القائل، نعم لا ينبغي أن يخفي ما يسمع من الثناء عليه، فإن السرور به أولاً يحصل من المبلغ للمدح، ثم من القائل، وإخفاء ذلك من الحسد.

وبالجملة فليسكت عن كل كلام يكرهه، جملة وتفصيلاً، إلا إذا وجب عليه النطق في أمر بمعروف، أو نهي عن منكر، ولم يجد رخصة في السكوت، فإذ ذاك لا يبالي بكراهته، فإن ذلك نظر له، وإحسان إليه في التحقيق، وإن كان يظن أنها إساءة في الظاهر.

أما ذكر مساوئه وعيوبه، ومساوئ أهله فهو من الغيبة، وذلك حرام في حق كل مسلم، ويزجرك عنه أمران:

أحدهما: أن تطالع أحوال نفسك، فإن وجدت فيها شيئاً واحداً مذموماً، فهون على نفسك ما تراه من أخيك، وقدر أنه عاجز عن قهر نفسه، في تلك الخصلة الواحدة، كما أنك عاجز عما أنت مبتلى به، فلا تستقبله بخصلة واحدة مذمومة، فأي الرجال المهذب.

وكل مالا تصادفه من نفسك في حق الله، فلا تنتظره من أخيك في حق نفسك، فليس حقك عليه، بأكثر من حق الله عليك.

والأمر الثاني: أن تعلم أنك لو طلبت منـزها من كل عيب اعتزلت عن الخلق كافة، ولن تجد من تصاحبه أصلاً فما من الناس أحد، إلا وله محاسن ومساوئ فإذا غلبت المحاسن المساوئ، فهو الغاية والمنتهى، فالمؤمن الكريم أبداً يحضر في نفسه محاسن أخيه، لينبعث من قلبه التوقير والود والاحترام، وأما المنافق اللئيم، فإنه أبداً يلاحظ المساوئ والعيوب.

قال ابن المبارك[1]: المؤمن يطلب المعاذير، والمنافق يطلب العثرات.

=

عنه الكثير، توفي سنة ٩٣هـ.

(١) هو عبد الله بن المبارك الحنظلي التميمي، أحد الأئمة الأعلام، جمع الفقه والأدب واللغة والزهد والفروسية والشدة، كان ثقة ثبتاً صحيح الحديث، أخرج له أصحاب الكتب الستة توفي سنة ١٨١هـ.

وقال الفضيل: الفتوة العفو عن زلات الإخوان، ولذلك قال ﷺ: «**استعيذوا بالله من جار السوء الذي إن رأى خيراً ستره، وإن رأى شراً أظهره**»[١].

وما من شخص، إلا ويمكن تحسين حاله بخصال فيه، ويمكن تقبيحه أيضاً.

وروي أن رجلاً أثنى على رجل عند رسول الله ﷺ فلما كان من الغد ذمه، فقال ﷺ: «**أنت بالأمس تثني عليه، واليوم تذمه**». فقال: والله، لقد صدقت عليه بالأمس، وما كذبت عليه اليوم، إنه أرضاني بالأمس، فقلت: أحسن ما علمت فيه، وأغضبني اليوم، فقلت: أقبح ما علمت فيه. فقال ﷺ «**إن من البيان لسحراً**»[٢] أو كأنه كره ذلك فشبهه بالسحر، ولذلك قال: في خبر آخر: «**البذاء والبيان شعبتان من النفاق**» [٣].

وفي حديث آخر: إن الله يكره لكم البيان، كل البيان، ولذلك قال الشافعي رضي الله عنه: ما من أحد من المسلمين، يطيع الله، ولا يعصيه ولا أحد يعصي الله، ولا يطيعه. فمن كانت طاعته أغلب من معاصيه، فهو عدل. وإذا جعل مثل هذا عدلاً في حق الله تعالى، فبأن تراه عدلاً في حق نفسك، ومقتضى أخوتك أولى.

وكما يجب عليك السكوت بلسانك عن مساوئه، يجب عليك السكوت بقلبك، وذلك بترك إساءة الظن، فسوء الظن غيبة بالقلب، وهو منهى عنه أيضاً، وحده أن لا تحمل فعله على وجه فاسد، ما أمكن أن يحمل على وجه حسن. فأما ما انكشف بيقين،ومشاهدة، فلا يمكنك أن لا تعلمه، وعليك أن تحمل ما تشاهد على سهو ونسيان إن أمكن.

وهذا الظن ينقسم إلى ما يسمى تفرساً، وهو الذي يستند إلى علامة، فإن ذلك يحرك الظن تحريكاً ضرورياً، لا يقدر على دفعه.

---

(١) أخرجه البخاري في التاريخ من حديث أبي هريرة بسند ضعيف، وللنسائي من حديث أبي هريرة وأبي سعيد بسند صحيح (تعوذوا بالله من جار السوء في دار المقام) المغني ٢/ ١٧٧.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، والحاكم في المستدرك من حديث أبي بكرة إلا أنه ذكر المدح والذم في مجلس واحد، لا يومين، ورواه الحاكم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٣) رواه الترمذي بسند ضعيف ٣٧٥/٤. والبذاء: هو فحش في الكلام. والبيان: كثرة الكلام.

وإلى ما منشؤه، سوء اعتقادك فيه، حتى يصدر منه فعل له وجهان، فيحملك سوء الاعتقاد فيه على أن تنـزله على الوجه الأردأ، من غير علامة تخصصه ا، وذلك جناية عليه بالباطن، وذلك حرام في حق كل مؤمن، إذا قال ﷺ «**إن الله قد حرم على المؤمن، من المؤمن دمه وماله وعرضه وأن تظن به ظن السوء**» [(١)].

وقال: «**إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث**»[(٢)] وسوء الظن يدعو إلى التجسس والتحسس.

وقد قال ﷺ: «**لا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تقاطعوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا**»[(٣)] والتجسس في تطلع الأخبار.

والتحسس بالمراقبة بالعين، فستر العيوب، والتجاهل والتغافل عنها، شيمة أهل الدين.

ويكفيك تنبيهاً على كمال الرتبة في ستر القبيح، وإظهار الجميل، أن الله تعالى، وصف به في الدعاء. فقيل: «**يا من أظهر الجميل، وستر القبيح**».

والمرضي عند الله من تخلق بأخلاقه، فإنه ستار العيوب، وغفار الذنوب، ومتجاوز عن العبيد، فكيف لا تتجاوز أنت عمن هو مثلك، أو فوقك، وما هو بكل حال عبدك، ولا مخلوقك.

وقد قال عيسى -عليه السلام- للحواريين: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائماً، قد كشفت الريح عنه ثوبه؟ قالوا: نستره ونغطيه، فقال: بل تكشفون عورته. قالوا: سبحان الله، من يفعل هذا؟ فقال: أحدكم يسمع في أخيه الكلمة، فيزيد

---

(١) أخرجه الحاكم في التاريخ من حديث ابن عباس دون قوله: "وعرضه" ورجاله ثقات، إلا أن أبا علي النيسابوري،قال: ليس هذا عندي من كلام النبي ﷺ، وإنما هو عندي من كلام ابن عباس ولابن ماجة نحوه من حديث ابن عمر المغني ٢/ ١٧٧.
ولمسلم من حديث أبي هريرة "كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه" ١٩٨٦/٤.

(٢) عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: «إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا» رواه البخاري ٨٩/٧، ومسلم ١٩٨٥/٤.

(٣) تقدم.

عليها، ويشيعها بأعظم منها.

واعلم أنه لا يتم إيمان المرء، ما لم يحب لأخيه، ما يحب لنفسه وأقل درجات الأخوة، أن يعامِلَ أخاه، بما يحب أن يعامل به، ولا شك في أنه ينتظر منه ستر العورة، والسكوت عن المساوئ والعيوب، ولو ظهر له منه نقيض ما ينتظره، اشتد عليه غضبه وغيظه، فما أبعده، إذا كان ينتظر منه، ما لا يضمره له ولا يعزم عليه لأجله، وويل له في نص كتاب الله - عز وجل - حيث قال: **وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ** [المطففين:١].

فكل من يلتمس من الإنصاف أكثر مما تسمح به نفسه، فهو داخل تحت مقتضى هذه الآية.

ومنشأ التقصير في ستر العورة، أو السعي في كشفها، الداء الدفين في الباطن، وهو الحقد والحسد، فإن الحقود الحسود يملأ باطنه بالخبث، ولكن يحبسه في باطنه، ويخفيه، ولا يبديه، ما لم يجد له مجالاً، فإذا وجد له فرصة، انحلت الرابطة وارتفع الحياء، وترشح الباطن بخبثه الدفين، ومهما انطوى الباطن على حقد، وحسد، فالانقطاع أولى.

قال بعض الحكماء: ظاهر العتاب خير من مكنون الحقد، فلا يزيد لطف الحقود إلا وحشة منه، ومن في قلبه سخيمة على مسلم، فإيمانه ضعيف، وأمره مخطر، وقلبه خبيث، لا يصلح للقاء الله تعالى.

وقد روى عبد الرحمن بن جبير(١) عن أبيه، أنه قال: كنت باليمن، ولي جار يهودي، يخبرني عن التوراة فقدم علي اليهودي من سفر، فقلت: إن الله تعالى قد بعث فينا نبياً، فدعانا إلى الإسلام، فأسلمنا، وقد نـزل كتاباً مصدقاً للتوراة. فقال اليهودي: صدقت ولكنكم لا تستطيعون أن تقوموا بما جاءكم به، إنا نجد نعته، نعت أمته في التوراة، إنه لا يحل لامرئ أن يخرج من عتبة بابه، وفي قلبه سخيمة على أخيه

---

(١) عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمي، صحيح الحديث، وقد ذكر في الثقات، توفي سنة ١١٨هـ. وانظر تهذيب التهذيب ١٥٤/٦.

المسلم.

ومن ذلك أن يسكت عن إفشاء سره الذي استودعه إياه، وله أن ينكره، وإن كان كاذباً، فليس الصدق واجباً في كل مقام، فإنه كما يجور للرجل أن يخفي عيوب نفسه، وأسراره، فكذلك ينبغي أن يخفي عيوب أخيه المسلم وأسراره، وإن احتاج إلى الكذب، فله أن يفعل ذلك في حق أخيه، فإن أخاه نازل منـزلته، وهما كشخص واحد، لا يختلفان إلا بالبدن.

هذه حقيقة الأخوة، وكذلك لا يكون بالعمل بين يديه مرائياً، ولا خارجاً عن أعمال السر إلى أعمال العلانية، فإن معرفة أخيه بعمله، كمعرفته بنفسه، من غير فرق.

وقد قال ﷺ: «**من ستر عورة أخيه في الدنيا، ستره الله في الدنيا والآخرة**»(١).

وفي خبر آخر: «**كأنما أحيا موءودة من قبرها**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا حدث الرجل بحديث، ثم التفت فهو أمانة**»(٣).

وقال: «**المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: مجلس يسفك فيه دم حرام، ومجلس يستحل فيه فرج حرام، ومجلس يستحل فيه مال من غير حله**» (٤)

وقال: «**إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يفشي على صاحبه ما يكره**» (٥).

وقيل لبعض الأدباء: كيف حفظك للسر؟ قال:أنا قبره.

وقد قيل: صدور الأخيار، قبور الأسرار.

وقيل: إن قلب الأحمق في فيه، ولسان العاقل في قلبه، لا يستطيع الأحمق،

---

(١) رواه مسلم بلفظ "من ستر مسلماً" وأبو داود.

(٢) أخرجه أبو داود بلفظ "من رأى عورة فسترها، كان كمن أحيا موءودة»

(٣) رواه الترمذي، وأبو داود.

(٤) رواه أبو داود.

(٥) أخرجه أبو بكر بن دلال في مكارم الأخلاق من حديث ابن مسعود بإسناد ضعيف، ورواه ابن المبارك في الزهد من رواية أبي بكر بن حزم مرسلاً، والحاكم من حديث ابن عباس "إنكم تجالسون بينكم بالأمانة"

إخفاء ما في نفسه، فيبديه من حيث لا يدري به، فمن هذا تجب مقاطعة الحمقى، والتوقي عن صحبتهم، بل عن مشاهد م.

وقد قيل لآخر: كيف تحفظ السر؟ قال: أجحد المخبر وأحلف للمستخبر.

وقال آخر: أستره، وأستر أني أستره.

وعبر عنه ابن المعتز[١]، فقال:

ومستودعي سراً تبوأت كتمه فأودعته صدري فصار له قبراً

وقال آخر وأراد الزيادة عليه:

وما السر في صدري كثاو بقبره لأني أرى المقـبور ينتظر النشرا

ولكنني أنساه حتى كأنني بمـا كان منه لم أحط ساعـة خـبرا

ولو جاز كتم السر بيني وبينه عن السر والأحشاء لم تعلم السرا

وأفشى بعضهم سراً له إلى أخيه، ثم قال له: حفظت؟فقال: بل نسيت.

وكان أبو سعيد الثوري[٢] يقول: إذا أردت أن تؤاخي رجلاً، فأغضبه، ثم دس عليه، من يسأله عنك وعن سرك، فإن قال خيراً، وكتم سرك فاصحبه.

وقيل لأبي يزيد[٣] من تصحب من الناس؟ قال: من يعلم منك ما يعلمه الله، ثم يستر عليك، كما يستره الله.

وقال ذو النون[٤]: لا خير في صحبة من لا يحب أن يراك إلا معصوماً.

ومن أفشى السر عند الغضب، فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا، تقتضيه

---

(١) عبد الله بن المعتز بالله محمد بن المتوكل الهاشمي العباسي، كان شاعراً فصيحاً، ولي الخلافة يوماً، أو بعض يوم، ثم اعتقل، توفي سنة ٢٩٦هـ.

(٢) هو سفيان بن سعيد الثوري، كانوا يسمونه أمير المؤمنين في الحديث توفي سنة ١٦١هـ بالبصرة.

(٣) هو أبو يزيد البسطامي، طيفور بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، زاهد، عابد، توفي سنة ٢٦١هـ.

(٤) هو ثوبان بن إبراهيم، وقيل: ابن الفيض بن إبراهيم أبو الفيض المصري، أحد المشايخ المشهورين، كان حكيماً فصيحاً، توفي سنة ٢٤٥، وقيل: سنة ٢٤٨هـ.

الطباع السليمة كلها.

وقد قال بعض الحكماء لا تصحب من يتغير عليك عند أربع: عند غضبه ورضاه، وعند طمعه وهواه.

بل ينبغي أن يكون صدق، الأخوة ثابتاً على اختلاف هذه الأحوال، ولذلك قيل:

وترى الكريم إذا تصرم وصله **يخفي القبيح ويظهر الإحسانا**

وترى اللئيم إذا تقضى وصله **يخفي الجميل ويظهر البهتانا**

وقال العباس[١] لابنه عبد الله: إني أرى هذا الرجل، يعني "عمر" يقدمك على الأشياخ، فاحفظ عني خمساً: لا تفشين له سراً، ولا تغتابن عنده أحداً، ولا يجربن عليك كذباً، ولا تعصين له أمراً، ولا يطلعن منك على خيانة.

فقال الشعبي: كل كلمة من هذه الخمس، خير من ألف.

ومن ذلك السكوت عن المماراة، والمدافعة في كل ما يتكلم به أخوك.

قال ابن عباس: لا تمار سفيهاً، فيؤذيك، ولا حليماً فيقليك.

وقد قال ﷺ: «**من ترك المراء**[٢] **وهو مبطل بني له بيت في ربض**[٣] **الجنة، ومن تركه وهو محق بني له بيت في أعلى الجنة**»[٤].

هذا مع أن تركه مبطلاً واجب، وقد جعل ثواب النفل أعظم؛ لأن السكوت على الحق أشد على النفس، من السكوت على الباطل، وإنما الأجر على قدر

---

(١) العباس بن عبد المطلب بن هاشم يكنى بأبي الفضل، طبقات ابن سعد ٥/٤.

(٢) ماراه مراء، جادله. والمراد المنازعة في القول، أو العمل، أو الاعتقاد، بقصد الباطل، فإن كان يقصد الحق، فهو جدال، وأصله من مريت الناقة، إذا استخرجت ما في ضرعها، فكأنك تستخرج ما عنده من القول.

(٣) الربض، المنـزل، وربض المدينة ما حولها، مختار الصحاح ص٢٢٩.

(٤) رواه الترمذي عن أنس بلفظ "من ترك الكذب وهو باطل بني له في ربض الجنة، ومن ترك المراد وهو محق بني له في وسطها، ومن حسن خلقه بني له في أعلاها" وقال: حديث حسن.

النصب.

وأشد الأسباب لإثارة نار الحقد بين الإخوان، المماراة والمنافسة فإنما عين التدابر والتقاطع، فإن التقاطع، يقع أولاً بالآراء، ثم بالأقوال، ثم بالأبدان.

وقد قال ﷺ: «**لا تدابروا ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا**» (١).

وقال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحرمه ولا يخذله، بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**» (٢).

وأشد الاحتقار المماراة، فإن من رد على غيره كلامه، فقد نسبه إلى الجهل والحمق، أو إلى الغفلة والسهو عن فهم الشيء، على ما هو عليه، وكل ذلك استحقار وإيغار للصدر وإيحاش.

وفي حديث أبي أمامة الباهلي(٣)، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نتمارى فغضب، فقال: «**ذروا المراء لقلة خيره، ذروا المراء فإن نفعه قليل، وإنه يهيج العداوة** بين **الإخوان**»(٤).

وقال بعض السلف: من لاحى الإخوان وماراهم، قلت مروءته وذهبت كرامته.

وقال عبد الله بن الحسن: إياك ومماراة الرجال، فإنك لن تعدم مكر حليم، أو مفاجأة لئيم.

وقال بعض السلف: أعجز الناس، من قصر في طلب الإخوان، وأعجز منه من ضيع من ظفر به منهم.

وكثرة المماراة توجب التضييع والقطيعة، وتورث العداوة.

وقد قال الحسن: لا تشتر عداوة رجل، بمودة ألف ألف رجل.

---

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) اسمه صدي بن عجلان نـزل حمص، توفي سنة ٨٧هـ.

(٤) أخرجه الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة، وأبي الدرداء، وواثلة وأنس دون ما بعد قوله "لقلة خيره" ومن هنا إلى آخر الحديث، رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي أمامة فقط، وإسنادهما ضعيف.

وعلى الجملة فلا باعث على المماراة إلا إظهار التمييز بمزيد العقل والفضل، واحتقار المردود عليه بإظهار جهله، وهذا يشتمل على التكبر والاحتقار والإيذاء والشتم بالحمق والجهل، ولا معنى للمعاداة، إلا هذا فكيف تضامنه الأخوة والمصافاة.

وقد روى ابن عباس عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «**لا تمار أخاك، ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه**»(١).

وقد قال ﷺ: «**إنكم لا تسعون الناس بأموالكم، ولكن ليسعهم منكم بسط وجه وحسن خلق**»(٢).

والمماراة مضادة لحسن الخلق، وقد انتهى السلف في الحذر من المماراة إلى حد لم يروا السؤال أصلاً.

وقالوا: إذا قلت لأخيك: قم. فقال: إلى أين؟ فلا تصحبه، بل ينبغي أن يقوم ولا يسأل.

وقال أبو سليمان الداراني: كان لي أخ بالعراق، وكنت أجيئه في النوائب، فأقول: اعطني من مالك شيئاً، فكان يلقي إلي كيسه فآخذ منه ما أريد، فجئته ذات يوم، فقلت: أحتاج إلى شيء، فقال: كم تريد؟ فخرجت حلاوة إخائه من قلبي.

وقال آخر إذا طلبت من أخيك مالاً، فقال: ما تصنع به، فقد ترك حق الإخاء.

ثم اعلم أن قوام الأخوة، الموافقة في الكلام والفعل والشفقة. قال أبو عثمان الحيري: موافقة الإخوان، خير من الشفقة عليهم، وهو كما قال.

الحق الرابع: على اللسان بالنطق

فإن الأخوة كما تقتضي السكوت عن المكاره فتقتضي النطق أيضاً بالمحاب، بل هو أخص بالأخوة، لأن من قنع بالسكوت، صحب أهل القبور، وإنما يراد الإخوان ليستفاد منهم، لا ليتخلص من أذاهم.

---

(١) رواه الترمذي بسند ضعيف.

(٢) أخرجه ابن عدي وضعفه، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، بلوغ المرام ص ٨٢١.

والسكوت معناه كف الأذى، فعليه أن يتودد إليه بلسانه، ويتفقده في أحواله التي يحب أن يتفقد فيها، كالسؤال عن عارض إن عرض له، وإظهار شغل القلب، بسببه واستبطاء العافية عنه، وكذا جملة أحواله التي يكرهها ينبغي أن يظهر بلسانه وأفعاله كراهيتها، وجملة أحواله التي يسر ا ينبغي أن يظهر بلسانه، مشاركته له في السرور ا. فمعنى الأخوة المساهمة في السراء والضراء.

وقد قال ﷺ: «**إذا أحب أحدكم أخاه فليخبره**»(١) وإنما أمر بالإعلام والإخبار؛ لأن ذلك يوجب زيادة حب، فإن عرف أنك تحبه، أحبك بالطبع لا محاله، وإذا عرفت، أنه يحبك أيضاً، زاد حبك لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد من المتحابين ويتضاعف».

والتحاب بين المؤمنين مطلوب في الشرع، ومحبوب في الدين، ولذلك علم فيه الطريق. فقال ﷺ: « **ادوا تحابوا**»(٢).

ومن ذلك أن يدعوه بأحب أسمائه إليه، في غيبته وحضوره.

قال عمر رضي الله عنه: ثلاث يصفين لك ود أخيك، أن تسلم عليه إذا لقيته أولاً، وتوسع له في ا لس، وتدعوه بأحب أسمائه إليه.

ومن ذلك أن تثنى عليه بما تعرف من محاسن أفعاله، عند من يؤثر هذا الثناء عنده، فإن ذلك من أعظم الأسباب في جلب المحبة، وكذا الثناء على أولاده وأهله وصنعته وفعله حتى على عقله وخلقه وهيأته وخطه وشعره وتصنيفه، وجميع ما يفرح به، وذلك من غير كذب وإفراط، ولكن تحسين ما يقبل التحسين، لابد منه.

وآكد من ذلك، أن تبلغه ثناء من أثنى عليه مع إظهار الفرح به، فإن إخفاء ذلك محض الحسد، ومن ذلك أن تشكره على صنيعه في حقك بل على نيته، وإن لم يتمم ذلك.

قال علي رضي الله عنه من لم يحمد أخاه على حسن النية لم يحمده على حسن الصنيعه.

وأعظم من ذلك تأثيراً في جلب المحبة، الذب عنه في غيبته، مهما قصد بسوء أو تعرض لعرضه بكلام صريح أو تعريض، فحق الأخوة التشمير في الحماية

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) أخرجه البيهقي من حديث أبي هريرة، قال في المختصر: ضعيف، الفوائد ا موعة ص٨٤.

والنصرة، وتبكيت المتعنت وتغليظ القول عليه. والسكوت عن ذلك موغر للصدر، ومنفر للقلب، وتقصير في حق الأخوة، وإنما شبه رسول الله ﷺ الأخوين باليدين، تغسل إحداهما الأخرى، لينصر أحدهما الآخر، وينوب عنه.

وقد قال ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يثلمه**» .

وهذا من الانثلام والخذلان، فإن إهماله لتمزيق عرضه،كإهماله لتمزيق لحمه، وأخسس بأخ يراك والكلاب تفترسك وتمزق لحمك، وهو ساكت لا تحركه الشفقة، والحمية، للدفع عنك.

وتمزيق الأعراض أشد على النفوس من تمزيق اللحوم، ولذلك شبهه الله تعالى بأكل الميتة. فقال: **أيحِب أحدكُمْ أن يأكُلَ لَحْم أخِيهِ مْيتا فَكَرِهْتموه** [الحجرات: ١٢].

والملك الذي يمثل في المنام، ما تطالعه الروح من اللوح المحفوظ بالأمثلة المحسوسة، يمثل الغيبة، بأكل لحم الميتة، حتى إن من رأى أنه يأكل لحم ميتة، فإنه يغتاب الناس، لأن ذلك الملك في تمثيله، يراعي المشاركة والمقايسة والمناسبة بين الشيء وبين مثاله في المعنى الذي يجري من المثال، مجرى الروح، لا في ظاهر الصورة.

فإذا حماية الأخوة، بدفع ذم الأعداء، وتعنت المتعنتين، واجب في عقد الأخوة.

وقد قال مجاهد: لا تذكر أخاك في غيبته، إلا كما تحب أن يذكرك في غيبتك.

فإذا لك فيه معياران:

أحدهما: أن تقدر أن الذي قيل فيه، لو قيل فيك، وكان أخوك حاضراً ما الذي كنت تحب أن يقوله أخوك فيك؟ فينبغي أن تعامل المتعرض لعرضه به.

والثاني: أن تقدر أنه حاضر من وراء جدار، يسمع قولك، ويظن أنك لا تعرف حضوره، فما كان يتحرك في قلبك من النصرة له بمسمع منه ومرآى؟ فينبغي أن يكون في غيبته كذلك.

فقد قال بعضهم: ما ذكر أخ لي بعيب، إلا تصورته جالساً فقلت، فيه: ما أحب أن يسمعه، لو حضر.

وقال آخر: ما ذكر أخ لي، إلا تصورت نفسي في صورته، فقلت فيه: مثل ما أحب أن يقال في.

وهذا من صدق الإسلام، وهو أن لا يرى لأخيه، إلا ما يراه لنفسه.

وقد نظر أبو الدرداء إلى ثورين، يحرثان في فدان، فوقف أحدهما يحك جسمه، فوقف الآخر. فبكى أبو الدرداء، وقال هكذا الإخوان في الله تعالى، يعملان لله، فإذا وقف أحدهما وافقه الآخر، وبالموافقة يتم الإخلاص، ومن لم يكن مخلصاً في إخائه، فهو منافق.

والإخلاص استواء الغيب والشهادة، واللسان والقلب والسر والعلانية، والخلوة والجماعة، والاختلاف والتفاوت في شيء من ذلك، مماذقة في المودة، وهو دخل في الدين، ووليجة في طريق المؤمنين، ومن لا يقدر من نفسه على هذا، فالانقطاع والعزلة أولى به من المؤاخاة والمصاحبة، فإن حق الصحبة ثقيل، لا يطيقه إلا محقق. فلا جرم أجره جزيل ولا يناله إلا موفق، ولذلك قال ﷺ: «**أباهر أحسن مجاورة من جاورك، تكن مسلماً، وأحسن مصاحبة من صاحبك، تكن مؤمناً**»[(١)].

فانظر كيف جعل الإيمان جزاء الصحبة، والإسلام جزاء الجوار، فالفرق بين فضل الإيمان، وفضل الإسلام، على حد الفرق بين المشقة في القيام بحق الجوار، والقيام بحق الصحبة.

فإن الصحبة تقتضي حقوقاً كثيرة في أحوال متقاربة مترادفة على الدوام، والجوار لا يقتضي إلا حقوقاً قريبة، في أوقات متباعدة، لا تدوم، ومن ذلك التعليم والنصيحة، فليست حاجة أخيك إلى العلم، بأقل من حاجته إلى المال.

فإن كنت غنياً بالعلم، فعليك مواساته من فضلك، وإرشاده إلى كل ما ينفعه في الدين والدنيا، فإن علمته، وأرشدته، ولم يعمل بمقتضى العلم، فعليك نصحه، وذلك بأن تذكر آفات ذلك الفعل وفوائد تركه وتخوفه بما يكرهه في الدنيا والآخرة، لينـزجر عنه وتنبهه على عيوبه، وتقبح القبيح في عينه، وتحسن الحسن.

ولكن ينبغي أن يكون ذلك في سر لا يطلع عليه أحد، فما كان على الملأ، فهو توبيخ وفضيحه، وما كان في السر، فهو شفقة ونصيحة، إذ قال ﷺ: «**المؤمن**

(١) رواه الترمذي.

مرآة المؤمن»[١] أي يرى منه ما لا يرى من نفسه، ولو انفرج فيستفيد المرء بأخيه معرفة عيوب نفسه ولو انفرد لم يستفد كما يستفيد بالمرآة، الوقوف على عيوب صورته الظاهرة.

قال الشافعي رضي الله عنه: من وعظ أخاه سراً، فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية، فقد فضحه وشانه.

وقيل لمسعر: تحب من يخبرك بعيوبك؟ فقال: إن نصحني فيما بيني وبينه، فنعم. وإن قرعني في الملأ، فلا. وقد صدق، فإن النصح على الملأ فضيحة. والله تعالى يعاتب المؤمن يوم القيامة، تحت كنفه، وفي ظل ستره، فيوقفه على ذنوبه سراً، وقد يدفع كتاب عمله مختوماً إلى الملائكة الذين يحفون به إلى الجنة، فإذا قاربوا باب الجنة، أعطوه الكتاب مختوماً ليقرأه.

أما أهل المقت، فينادون على رءوس الأشهاد، وتستنطق جوارحهم بفضائحهم، فيزدادون بذلك حزناً وافتضاحاً، ونعوذ بالله من الخزي يوم العرض الأكبر.

فالفرق بين التوبيخ والنصيحة بالإسرار والإعلان، كما أن الفرق بين المداراة والمداهنة، بالغرض الباعث على الإغضاء، فإن أغضيت لسلامة دينك، ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء، فأنت مدار، وإن أغضيت لحظ نفسك، واجتلاب شهواتك، وسلامة جاهك، فأنت مداهن.

وقال ذو النون: لا تصحب مع الله، إلا بالموافقة، ولا مع الخلق، إلا بالمناصحة، ولا مع النفس، إلا بالمخالفة، ولا مع الشيطان، إلا بالعداوة.

فإن قلت: إذا كان في النصح ذكر العيوب، وفيه إيحاش للقلب، فكيف يكون ذلك من حق الأخوة؟

فاعلم أن الإيحاش، إنما يحصل بذكر عيب يعلمه أخوك من نفسه.

فأما تنبيهه على ما لا يعلمه، فهو عين الشفقة، وهو استمالة القلوب، أعنى قلوب العقلاء. وأما الحمقى، فلا يلتفت إليهم، فإن من ينبهك على فعل مذموم

---

(١) رواه أبو داود.

تعاطيته، أو صفة مذمومة، اتصفت ا لتزكي نفسك عنها، كان كمن نبهك على حية أو عقرب، تحت ذيلك، وقد همت بإهلاكك، فإن كنت تكره ذلك، فما أشد حمقك.

والصفات المذمومة عقارب وحيات، وهي في الآخرة مهلكات فإنا تلدغ القلوب والأرواح، وألمها أشد مما تلدغ الظواهر والأجساد، وهي مخلوقة من نار الله الموقدة، التي تطلع على الأفئدة، ولذلك كان عمر بن الخطاب ﷺ: يستهدي ذلك من إخوانه، ويقول: رحم الله امرأً أهدى إلى أخيه عيوبه.

ولذلك قال عمر ﷺ: لسلمان[1] وقد قدم عليه: ما الذي بلغك عني مما تكره؟ فاستعفى. فألح عليه. فقال: بلغني أن لك حلتين، تلبس إحداهما بالنهار، والأخرى بالليل. وبلغني أنك جمعت بين إدامين على مائدة واحدة.

فقال عمر ﷺ: أما هذان فقد كفيتهما، فهل بلغك غيرهما؟ فقال: لا.

وكتب حذيفة المرعشي إلى يوسف بن أسباط[2] بلغني أنك بعت دينك بحبتين، ووقفت على صاحب لبن، فقلت: بكم هذا فقال: بسدس. فقلت له: لا هو بثمن. فقال: هو لك. وكان يعرفك، أكشف عن وجهك قناع الغافلين، وانتبه من رقدة الموتى، فاعلم أن من قرأ القرآن، ولم يستغن وآثر الدنيا، لم أمن أن يكون بآيات الله من المستهزئين.

وقد وصف الله تعالى الكاذبين ببغضهم للناصحين، إذ قال: **ولَكِن لا تحِبونَ الناصِحِين** [الأعراف: ٧٩].

وهذا في عيب هو غافل عنه، فأما ما علمت أنه يعلمه من نفسه، وإنما هو مقهور عليه من طبعه، فلا ينبغي أن يكشف فيه ستره إن كان يخفيه.

وإن كان يظهره، فلابد من التلطف بالنصح، بالتعريض مرة، وبالتصريح

(١) سلمان الفارسي، سمى نفسه، سلمان الإسلام، صحابي جليل قرأ كتب الفرس والروم واليهود، استعبده بنو كلب ثم باعوه، وأعانه المسلمون على شراء نفسه من صاحبه، ثم أظهر إسلامه، وهو الذي دل المسلمين على حفر الخندق، جعل أميراً على المدائن حتى مات سنة ٣٦ هـ.

(٢) يوسف بن أسباط، كان زاهداً متواضعاً، توفي سنة نيف وتسعين ومائة. طبقات الشعراني.

أخرى إلى حد لا يؤدي إلى الإيحاش، فإن علمت أن النصح غير مؤثر فيه، وأنه مضطر من طبعه إلى الإصرار عليه، فإن السكوت عنه أولى.

وهذا كله فيما يتعلق بمصالح أخيك في دينه، أو دنياه.

وأما ما يتعلق بتقصيره في حقك، فالواجب فيه الاحتمال والعفو، والصفح والتعامي عنه، والتعرض لذلك ليس من النصح في شيء.

نعم إن كان بحيث يؤدي استمراره عليه إلى القطيعة، فالعتاب عليه في السر خير من القطيعة، والتعريض به خير من التصريح، والمكاتبة خير من المشافهة، والاحتمال خير من الكل، إذ ينبغي أن يكون قصدك من أخيك، إصلاح نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه، واحتمالك تقصيره لا استعانة به والاسترفاق منه.

قال أبو بكر الكتاني: صحبني رجل وكان على قلبي ثقيلاً، فوهبت له يوماً شيئاً، على أن يزول ما في قلبي، فلم يزل، فأخذت بيده يوماً إلى البيت، وقلت له: ضع رجلك على خدي، فأبى، فقلت: لابد أن تفعل، ففعل. فزال ذلك من قلبي.

وقال أبو علي الرباطي: صحبت عبد الله الرازي فكان يدخل البادية، فقال: على أن تكون أنت الأمير، أو أنا. فقلت: بل أنت. فقال: وعليك الطاعة. فقلت: نعم. فأخذ مخلاة، ووضع فيها الزاد، وحملها على ظهره، فإذا قلت له: أعطني.قال: ألست أنا الأمير ؟ فعليك الطاعة. فأخذنا المطر ليلة، فوقف على رأسي إلى الصباح، وعليه كساء، وأنا جالس، فمنع عني المطر، فكنت أقول في نفسي: ليتني مت ولم أقل أنت الأمير.

الحق الخامس

العفو عن الزلات والهفوات

وهفوة الصديق، لا تخلو إما أن تكون في دينه بارتكاب معصية، أو في حقك بتقصير في الأخوة.

أما ما يكون في الدين من ارتكاب معصية والإصرار عليها، فعليك بالتلطف في نصحه، بما يقوم أوده، ويجمع شمله، ويعيد إلى الإصلاح والورع حاله، فإن لم تقدر وبقي مصراً، فقد اختلفت طرق الصحابة والتابعين، في إدامة حق مودته، أو

مقاطعته.

فذهب أبو ذر رضي الله عنه إلى الانقطاع، فقال: إذا انقلب أخوك عما كان عليه، فابغضه من حيث أحببته. ورأى ذلك من مقتضى الحب في الله، والبغض في الله.

وأما أبو الدرداء رضي الله عنه وجماعة من الصحابة، فذهبوا إلى خلافه.

فقال أبو الدرداء: إذا تغير أخوك، وحال عما كان عليه، فلا تدعه لأجل ذلك. فإن أخاك يعوج مرة، ويستقيم أخرى.

وقال إبراهيم النخعي[(١)]: لا تقطع أخاك ولا جره عند الذنب بذنبه، فإنه يرتكبه اليوم، ويتركه غداً.

وقال أيضاً: لا تحدثوا الناس بزلة العالم، فإن العالم يزل الزلة، ثم يتركها.

وفي الخبر: «**اتقوا زلة العالم، ولا تقطعوه وانتظروا فيئته**»[(٢)].

وفي حديث عمر رضي الله عنه: وقد سئل عن أخ كان آخاه، فخرج إلى الشام، فسأل عنه بعض من قدم عليه، فقال: ما فعل أخي؟ قال: ذلك أخو الشيطان. قال: مه؟ قال: إنه قارف الكبائر حتى وقع في الخمر. قال: إذا أردت الخروج فآذني. فكتب عند خروجه إليه: بسم الله الرحمن الرحيم **حم تنـزيلُ الكِتابِ مِن اللهِ العزيز العليم غَافِرِ الذنبِ وقَابِلِ التوْبِ شدِيدِ العِقابِ ذِي الطوْلِ** [غافر:١- ٣] ثم عاتبه تحت ذلك وعذله. فلما قرأ الكتاب بكى. وقال: صدق الله. ونصحني عمر، فتاب ورجع.

وحكى أن أخوين ابتلي أحدهما بهوى، فأظهر عليه أخاه، وقال: إني اعتللت، فإن شئت أن لا تعقد علي محبتي لله، فافعل. فقال: ما كنت لأحل عقد أخوتك، لأجل خطيئتك أبداً. ثم عقد أخوة بينه وبين الله تعالى: أن لا يأكل ولا يشرب، حتى يعافى الله أخاه من هواه، فطوى أربعين يوماً، في كلها يسأله عن هواه، فكان يقول: القلب مقيم على حاله، وما زال هو ينحل من الغم والجوع، حتى زال الهوى عن

---

(١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي، زاهد عابد كان يلبس الثوب المصبوغ بالزعفران، توفي سنة ٩٥هـ.

(٢) رواه البغوي في المعجم، وابن عدي في الكامل من حديث عمرو بن عوف المزني، وضعفاه.

قلب أخيه، بعد الأربعين. فأخبره بذلك فأكل وشرب، بعد أن كاد يتلف هزلاً وضراً.

وكذلك حكى عن أخوين من السلف، انقلب أحدهما عن الاستقامة، فقيل لأخيه: ألا تقطعه و تهجره؟ فقال: أحوج ما كان إلي في هذا الوقت، لما وقع في عثرته، أن آخذ بيده، وأتلطف له في المعاتبة، وأدعو له بالعودة إلى ما كان عليه.

وروي في الإسرائيليات، أن أخوين عابدين كانا في جبل، نـزل أحدهما يشتري من المصر لحماً بدرهم، فرأى بغياً عند اللحام فرمقها وعشقها، فاجتذ ا إلى خلوة، فواقعها. ثم أقام عندها ثلاثاً، واستحيا أن يرجع إلى أخيه، حياء من جنايته.

قال: فافتقده أخوه واهتم بشأنه، فنـزل إلى المدينة، فلم يزل يسأل عنه حتى دل عليه، فدخل عليه، وهو جالس معها، فاعتنقه فجعل يقبله ويلتزمه، وأنكر الآخر أن يعرفه لفرط استحيائه منه.

فقال: قم يا أخي فقد علمت قصتك وشأنك، وما كنت قط أحب إلي، ولا أعز عندي من ساعتك هذه فلما رأى أن ذلك لم يسقطه من عينه، قام فانصرف معه. فهذه طريقة قوم، وهي ألطف وأفقه من طريقة أبي ذر ﷺ. وطريقته أسلم وأحسن.

فإن قلت: ولم قلت هذا ألطف وأفقه؟ ومقارف هذه المعصية لا تجوز مؤاخاته ابتداءً، فيجب مقاطعته انتهاءً، لأن الحكم إذا ثبت لعله فالقياس أن يزول بزوالها، وعلة عقد الأخوة، التعاون في الدين، ولا يستمر ذلك مع مقارفة المعصية، فأقول: أما كونا ألطف، فلما فيها من الرفق والاستمالة والتلطف المفضي إلى الرجوع والتوبة لاستمرار الحياء، عند دوام الصحبة، ومهما قوطع وانقطع طمعه عن الصحبة، أصر واستمر.

وأما كونا أفقه، فمن حيث إن الأخوة، عقد ينـزل بمنـزلة القرابة، فإذا انعقدت تأكد الحق، ووجب الوفاء بموجب العقد، ومن الوفاء به أن لا يهمله أيام حاجته وفقره، وفقر الدين أشد من فقر المال. وقد أصابته جائحة وألمت به آفة، افتقر بسببها في دينه، فينبغي أن يراقب ويراعي ولا يهمل،بل لا يزال يتلطف به ليعان على الخلاص من الواقعة التي ألمت به.

فالأخوة عدة للنائبات وحوادث الزمان، وهذا من أشد النوائب.

والفاجر إذا صحب تقياً، وهو ينظر إلى خوفه ومداومته، فسيرجع على قرب، ويستحي من الإصرار، بل الكسلان يصحب الحريص في العمل، فيحرص حياء منه.

قال جعفر بن سليمان: مهما فترت في العمل نظرت إلى محمد بن واسع، وإقباله على الطاعة والعبادة، رجع نشاطي إلى العبادة، وفارقني الكسل، وعملت عليه أسبوعاً، وهذا التحقيق وهو أن الصداقة لحمة كلحمة النسب، والقريب لا يجوز أن يهجر بالمعصية، ولذلك قال تعالى لنبيه ﷺ في عشيرته: ﴿**فإن عصوك فقل إني بريء مما تعملون**﴾ [الشعراء: ٢١٦] ولم يقل: إني بريء منكم مراعاة لحق القرابة ولحمه النسب، وإلى هذا أشار أبو الدرداء لما قيل له: ألا تبغض أخاك، وقد فعل كذا؟ فقال: إنما أبغض عمله، وإلا فهو أخي.

وأخوة الدين أوكد من أخوة القرابة، ولذلك قيل لحكيم: أيما أحب إليك أخوك أو صديقك؟ فقال: إنما أحب أخي إذا كان صديقاً لي.

وكان الحسن يقول: كم من أخ لم تلده أمك، ولذلك قيل: القرابة تحتاج إلى مودة، والمودة لا تحتاج إلى قرابة.

وقال جعفر الصادق -عليه السلام-: مودة يوم صلة. ومودة شهر قرابة. ومودة سنة رحم مائية، من قطعها قطعه الله، فإذن الوفاء بعقد الأخوة، إذا سبق انعقادها واجب. وهذا جوابنا، عن ابتداء المؤاخاة مع الفاسق، فإنه لم يتقدم له حق، فإن تقدمت له قرابة، فلا جرم لا ينبغي أن يقاطع، بل يجامل، والدليل عليه، أن ترك المؤاخاة والصحبة ابتداءً ليس مذموماً ولا مكروهاً.

بل قال قائلون: الأفراد أولى، فأما قطع الأخوة في دوامها، فمنهي عنه، ومذموم في نفسه ونسبته إلى تركه ابتداء، كنسبة الطلاق إلى ترك النكاح، والطلاق أبغض إلى الله تعالى، من ترك النكاح.

وقال ﷺ: «**شرار عباد الله المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة**»(١).

وقال بعض السلف في زلات الإخوان: ود الشيطان أن يلقي على أخيكم مثل

(١) رواه أحمد من حديث أسماء بنت يزيد، بسند ضعيف.

هذا، حتى جروه وتقطعوه، فماذا أبقيتم من محبة عدوكم، وهذا لأن التفريق بين الأحباب من محاب الشيطان، كما أن مقارفة العصيان من محابه، فإذا حصل الشيطان أحد غرضيه، فلا ينبغي أن يضاف إليه الآخر، وإلى هذا أشار ﷺ في الذي شتم الرجل الذي أتى فاحشة، قال: «**مه وزجره**» وقال: «**لا تكونوا عوناً للشيطان على أخيكم**»[(١)]. فبهذا كله تبين الفرق بين الدوام والابتداء، لأن مخالطة الفساق محذورة، ومفارقة الإخوان والأحباب أيضاً محذورة.

وليس من سلم من معارضة غيره، كالذي لم يسلم، وفي الابتداء قد سلم، فرأينا أن المهاجرة والتباعد هو الأولى، وفي الدوام تعارضاً، فكان الوفاء بحق الأخوة أولى، هذا كله في زلته في دينه.

أما زلته في حقه، بما يوجب إيحاشه، فلا خوف في أن الأولى العفو والاحتمال، بل كل ما يحتمل تنـزيله على وجه حسن، ويتصور تمهيد عذر فيه قريب أم بعيد، فهو واجب بحق الأخوة، فقد قيل: ينبغي أن تستنبط لزلة أخيك سبعين عذراً، فإن لم يقبله قلبك، فرد اللوم على نفسك. فتقول لقلبك ما أقساك يعتذر إليك أخوك سبعين عذرا فلا تقبله، فأنت المعيب لا أخوك. فإن ظهر بحيث لم يقبل التحسين، فينبغي أن لا تغضب إن قدرت، ولكن ذلك لا يمكن.

وقال الشافعي رحمه الله: من استغضب فلم يغضب فهو حمار، ومن استرضى فلم يرض فهو شيطان فلا تكن حماراً ولا شيطاناً، واسترض قلبك بنفسك نيابة عن أخيك. واحترز أن تكون شيطاناً إن لم تقبل.

وقال الأحنف بن قيس: حق الصديق أن يحتمل منه ثلاثة: ظلم الغضب، وظلم الزلة، وظلم الهفوة.

وقال آخر: ما شتمت أحداً قط، لأنه إن شتمني كريم، فأنا أحق من غفرها له، أو لئيم فلا أجعل عرضي له عوضاً، ثم تمثل وقال:

وأغفر عوراء الكريم ادخاره وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

وقد قيل:

---

(١) تقدم ذكره.

خذ من خليلك ما صفا ودع الذي فيه الكدر

فالعمـر أقصر من معا تبة الخليل على الغير

ومهما اعتذر إليك أخوك، كاذباً كان، أو صادقاً، فأقبل عذره. قال ﷺ: «**من اعتذر إليه أخوه، فلم يقبل عذره فعليه مثل إثم صاحب المكس**»[1].

وقد قال ﷺ: «**المؤمن سريع الغضب سريع الرضا**»[2] فلم يصفه بأنه لا يغضب.

وكذا قال الله تعالى: ﴿**وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ**﴾ [آل عمران: ١٣٤] ولم يقل: والفاقدين الغيظ. وهذا لأن العادة لا تنتهي إلى أن يجرح الإنسان فلا يتألم، بل ينتهي إلى أن يصبر عليه، ويحتمل.

وكما أن التألم بالجرح، مقتضى طبع الإنسان، فالتألم بأسباب الغضب، طبع القلب، ولا يمكن قلعه، ولكن يمكن ضبطه وكظمه، والعمل بخلاف مقتضاه، فإنه يقتضي التشفي والانتقام والمكافأة، وترك العمل بمقتضاه ممكن.

وقد قال الشاعر:

ولست بمستبق أخاً لا تلمه على شعث أي الرجال المهذب

قال أبو سليمان لأحمد بن أبي الحواري: إذا آخيت أخاً في هذا الزمان، فلا تعاتبه على ما تكرهه، فإنك لا تأمن أن ترى في جوابك ما هو شر من الأول.

قال: فجربته فوجدته كذلك.

وقال بعضهم: الصبر على مضض الأخ خير من معاتبته. والمعاتبة خير من القطيعة، والقطيعة خير من الوقيعة. وينبغي أن لا يبالغ في البغض عند الوقيعة.

---

(١) رواه ابن ماجة مرسلاً، من حديث جوذان. وقال أبو حاتم: جوذان هذا ليست له صحبة، وهو مجهول. سنن ابن ماجة١٢٢٥/٢، ورواه أبو حنيفة عن ابن عمر مسند أبي حنيفة ص ٢٠٨. والمكس: هو أخذ العشر، والماكس هو العشار.

(٢) قال العراقي: لم أجده هكذا. وللترمذي من حديث أبي سعيد الخدري "إلا أن بني آدم خلقوا على طبقات شتى.. ومنهم سريع الفيء فتلك بتلك" انظر المغني ١٨٥/٢، انظر تذكرة الموضوعات ص ١٩٠.

قال الله تعالى: **عسى الله أن يجْعلَ بْينكُمْ وبْين الذِين عادْيتم منْهم مودة** [الممتحنة: ٧].

وقالﷺ: «**أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما**»(١).

وقال عمر ﷺ: لا يكن حبك كلفاً، ولا بغضك تلفاً، وهو أن تحب تلف صاحبك مع هلاكك.

الحق السادس

الدعاء للأخ في حياته ومماته بكل ما يحبه لنفسه، ولأهله وكل متعلق به

فتدعو له كما تدعو لنفسك، ولا تفرق بين نفسك وبينه، فإن دعاءك له، دعاء لنفسك على التحقيق.

وقد قال ﷺ: «**إذا دعا الرجل لأخيه بظهر الغيب، قال الملك: ولك مثل ذلك**»(٢).

وفي لفظ آخر: «**يقول الله: بك أبدأ يا عبدي**».

وفي حديث آخر: «**يستجاب للرجل في أخيه، مالا يستجاب له في نفسه**»(٣).

وفي الحديث: «**دعوة الأخ لأخيه في الغيب لا ترد**»(٤).

وكان أبو الدرداء يقول: إني لأدعو لسبعين من إخواني، في سجودي، أسميهم بأسمائهم.

---

(١) رواه الترمذي عن أبي هريرة، وقال: حديث غريب، لا نعرفه بهذا الإسناد، إلا من هذا الوجه، وقد روي الحديث عن أيوب بإسناد ضعيف أيضاً، والصحيح أنه موقوف على علي ﷺ ٣٦٠/٤، وقال الصغاني: موضوع. الفوائد المجموعة ص ٢٥٦.

(٢) رواه مسلم ٢٠٩٤/٤، وأبو داود ٨٩/٢.

(٣) قال العراقي لم أجده بهذا اللفظ المغني ٢/ ١٨٦.

(٤) رواه مسلم بلفظ "مستجابة" بدل لا ترد ٢٠٩٤/٤.

وقد روى الترمذي بإسناد ضعيف. من حديث عبد الله بن عمرو "أن أسرع الدعاء إجابة دعوة غائب لغائب" ٣٥٢/٤، وكذا أبو داود ٨٩/٢.

وكان محمد بن يوسف الأصفهاني[(١)] يقول: وأين مثل الأخ الصالح؟ أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بما خلفت وأخوك منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت، وما صرت إليه، يدعو لك في ظلمة الليل، وأنت تحت أطباق الثرى.

وكان الأخ الصالح يقتدي بالملائكة، إذ جاء في الخبر: «**فإذا مات العبد قال الناس: ما خلف؟ وقالت الملائكة ما قدم؟**»[(٢)] يفرحون له بما قدم ويسألون عنه، ويشفقون عليه.

ويقال: إن من بلغه موت أخيه، وترحم عليه، واستغفر له، كتب له كأنه شهد جنازته، وصلى عليه.

وروي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**مثل الميت في قبره مثل الغريق يتعلق بكل شيء، ينتظر دعوة من ولد، أو والد، أو أم، أو أخ، أو قريب**» [(٣)] وإنه ليدخل على قبور الأموات، من دعاء الأحياء من الأنوار، مثل الجبال.

وقال بعض السلف: الدعاء للأموات بمنـزلة الهدايا للأحياء، فيدخل الملك على الميت، معه طبق من نور عليه منديل من نور، فيقول: هذه هدية لك من عند أخيك فلان، من عند قريبك فلان، قال: فيفرح لذلك كما يفرح الحي بالهدية.

الحق السابع: الوفاء والإخلاص

الوفاء والإخلاص ومعنى الوفاء الثبات على الحب، وإدامته إلى الموت معه، وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه.

فإن الحب إنما يراد للآخرة، فإن انقطع بعد الموت حبط العمل، وضاع السعي.

ولذلك قال ﷺ في السبعة الذين يظلهم الله في ظل عرشه: «**ورجلان تحابا في الله، اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه**».

وقال بعضهم: قليل الوفاء بعد الوفاة، خير من كثيره في حال الحياة.

---

(١) محمد بن يوسف الأصفهاني، هو الذي سماه ابن المبارك بعروس العباد والزهاد توفي سنة ٨٤هـ. طبقات الشعراني ٦١/١.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بسند ضعيف. المغني ١٨٦/٢.

(٣) أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أبي هريرة. قال الذهبي في الميزان: إنه خبر منكر جداً. المغني ١٨٦/٢.

ولذلك روي أنه ﷺ: «**أكرم عجوزاً دخلت عليه، فقيل له في ذلك، فقال: إ ا كانت تأتينا أيام خديجة رضي الله عنها، وإن كرم العهد من الدين**»(١).

فمن الوفاء للأخ، مراعاة جميع أصدقائه وأقاربه، والمتعلقين به ومراعا م، أوقع في قلب الصديق من مراعاة الأخ في نفسه، فإن فرحه بتفقد من يتعلق به أكثر، إذ لا يدل على قوة الشفقة والحب، إلا تعديهما من المحبوب، إلى كل من يتعلق به، حتى الكلب الذي على باب داره، ينبغي أن يتميز في القلب من سائر الكلاب، ومهما انقطع الوفاء بدوام المحبة، شمت به الشيطان، فإنه لا يحسد متعاونين على بر، كما يحسد متواخيين في الله، ومتحابين فيه. فإنه يجهد نفسه لإفساد ما بينهما.

قال تعالى: **وقُل لِعبادِي يقُولُوا الِتي هِي أحْسن إن الشيْطَانَ ين ـزغُ بيْنهمْ** [الإسراء: ٥٣].

وقال مخبراً عن يوسف عليه السلام: **مِنْ بعْدِ أن نزغَ الشيْطَانُ بْيِني وبيْن إخْوتي** [يوسف: ١٠٠].

ويقال: ما تواخى اثنان في الله، فيفرق بينهما، إلا بذنب يرتكبه أحدهما.

وكان بشر يقول: إذا قصر العبد في طاعة الله، سلبه الله من يؤنسه، وذلك لأن مجالسة الإخوان مسلاة للهموم، وعون على الدين.

ولذلك قال ابن المبارك: ألذ الأشياء مجالسة الإخوان، والانقلاب إلى كفاية، والمودة الدائمة، هي التي تكون في الله، وما يكون لغرض يزول بزوال ذلك الغرض، ومن تمام المودة في الله تعالى، أن لا تكون مع حسد في دين، ولا دنيا. وكيف يحسده، وكل ما هو لأخيه، فإليه ترجع فائدته، وبه وصف الله تعالى المحبين في الله، فقال تعالى: **ولا يجِدونَ ـفي صدورِهِمْ حاجةً مما أُوتوا ويؤْثرونَ علَى أنفُسِهمْ ولَوْ كاَنَ ـبِهمْ خصاصةٌ** [الحشر: ٩] ووجود الحاجة هو الحسد.

ومن الوفاء أن لا يتغير حاله في التواضع مع أخيه، وإن ارتفع شأنه، واتسعت ولايته، وعظم جاهه، فالترفع على الإخوان، بما يتجدد من الأحوال لؤم.

قال الشاعر:

---

(١) الحديث أخرجه الحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها. المغني ١٨٧/٢.

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا ... من كان يألفهم في المنـزل الخشن

وأوصى بعض السلف ابنه، فقال: يا بني لا تصحب من الناس، إلا من إذا افتقرت إليه قرب منك، وإن استغنيت عنه لم يطمع فيك، وإن علت مرتبته، لم يرتفع عليك.

وقال بعض الحكماء: إذا ولي أخوك ولاية، فثبت على نصف مودته لك، فهو خير كثير.

وحكى الربيع أن الشافعي رضي الله عنه آخا رجلاً ببغداد، ثم إن أخاه ولي السيبين، فتغير له عما كان عليه، فكتب الشافعي له هذه الأبيات:

اذهب فودك من فؤادي طالق ... أبداً وليس طلاق ذات البين

فـإن ارعويت فإنـها تطليقة ... ويدوم ودك لي على ثنتين

وإن امتنعت شفعتهـا بمثالهـا ... فتكون تطليقتين في حيضين

وإذا الثلاث أتتك منـي بتـة ... لم تغن عنك ولاية السيبين

واعلم أنه ليس من الوفاء موافقة الأخ، فيما يخالف الحق في أمر يتعلق بالدين، بل من الوفاء له المخالفة، فقد كان الشافعي آخى محمد بن عبد الحكم[1]، وكان يقربه ويقبل عليه، ويقول: ما يقيمني بمصر غيره، فاعتل محمد فعاده الشافعي، فقال:

مرض الحبيب فعدته ... فمرضت من حذري عليه

وأتى الحبيب يعودني ... فبرئت من نظري إليـه

فظن الناس لصدق مود ما أنه يفوض إليه أمر حلقته بعد وفاته

فقيل للشافعي في علته التي مات فيها رضي الله عنه: إلى من نجلس بعدك يا أبا عبد الله؟ فاستشرف له محمد بن عبد الحكم، وهو عند رأسه ليومئ إليه. فقال الشافعي:

(١) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم، أبو عبد الله المصري الفقيه الصادق الثقة، كان عارفًا بأقاويل الصحابة والتابعين، من فقهاء مصر. ذيب التهذيب ٢٦٠/٩.

سبحان الله، أيشك في هذا أبو يعقوب البويطي؟[1] فانكسر لها محمد، ومال أصحابه إلى البويطي، مع أن محمداً كان قد حمل عنه مذهبه كله، لكن كان البويطي أفضل وأقرب إلى الزهد والورع، فنصح الشافعي لله وللمسلمين، وترك المداهنة، ولم يؤثر رضاء الخلق على رضاء الله تعالى. فلما توفي انقلب محمد بن الحكم عن مذهبه، ورجع إلى مذهب أبيه، ودرس كتب مالك، وهو من كبار أصحاب مالك ﷺ.

وآثر البويطي الزهد والخمول، ولم يعجبه الجمع والجلوس في الحلقة، واشتغل بالعبادة، وصنف كتاب الأم، الذي ينسب الآن للربيع بن سليمان، ويعرف به، وإنما صنفه البويطي، ولكن لم يذكر نفسه فيه، ولم ينسبه إلى نفسه، فزاد الربيع فيه وتصرف وأظهره[2].

والمقصود أن الوفاء بالمحبة، من تمامها النصح لله.

قال الأحنف بن قيس: الإخاء جوهرة دقيقة، إن لم تحرسها كانت معرضة للآفات، فاحرسها بالكظم، حتى تعتذر إلى من ظلمك، وبالرضاء حتى لا تستكثر من نفسك الفضل، ولا من أخيك التقصير.

ومن آثار الصدق والإخلاص وتمام الوفاء، أن تكون شديد الجزع من المفارقة، ونفور الطبع عن أسبا ا، كما قيل:

وجدت مصيبات الزمان جميعها — سوى فرقة الأحباب هينة الخطب

---

(١) هو يوسف بن يحيى البويطي الفقيه الزاهد، كان مجتهداً كثير الذكر، توفي في السجن ممتحناً بخلق القرآن، قال الشافعي: ليس في أصحابي أفقه من البويطي، وكان ثقة أميناً، توفي سنة ٢٣١هـ.

(٢) هذه العبارة أوهمت الدكتور زكي مبارك، فادعى أن الشافعي لم يؤلف كتاب الأم، وإنما ألفه البويطي، وأخذه الربيع، بعد موت البويطي، ونسبه إلى نفسه، وعبارة الغزالي واضحة، فالبويطي رتب كتاب الأم، وهذا ما يفهم من كلمة تصنيف، وهو المعهود، فالتصنيف غير التأليف، وكل ما فعله البويطي هو ترتيب وتبويب المادة، ثم تصرف فيه الربيع، كما يصنع المحقق اليوم، حيث يضع العناوين الوسطية والجانبية للكتاب المحقق، ولكن الكتاب ينسب لصاحبه، وتحقيقه للمحقق.

وأنشد ابن عيينة[1] هذا البيت، وقال: لقد عاهدت أقواماً فارقتهم منذ ثلاثين سنة ما يخيل إلي أن حسر م ذهبت من قلبي.

ومن الوفاء أن لا يسمع بلاغات الناس على صديقه، ولا سيما من يظهر أولاً أنه محب لصديقه، كي لا يتهم ثم يلقي الكلام عرضاً، وينقل عن الصديق، ما يوغر القلب، فذلك من دقائق الحيل في التضريب، ومن لا يحترز منه، لم تدم مودته أصلاً.

قال رجل لحكيم: قد جئت خاطباً مودتك قال: إن جعلت مهرها ثلاثًا، فعلت. قال: وما هي؟ قال: لا تسمع علي بلاغة، ولا تخالفني في أمري، ولا توطئني عشوة.

ومن الوفاء أن لا يصادق عدو صديقه، قال الشافعي ﷺ: إذا أطاع صديقك عدوك، فقد اشتركا في عداوتك.

الحق الثامن

التخفيف وترك التكلف والتكليف

وذلك بأن لا يكلف أخاه، ما يشق عليه، بل يروح سره من مهماته، وحاجاته، ويرفهه عن أن يحمله شيئاً من أعبائه، ولا يستمد منه من جاه ومال، ولا يكلفه التواضع له، والتفقد والقيام بحقوقه، بل لا يقصد بمحبته إلا الله، تبركاً بدعائه، واستئناساً بلقائه، واستعانة به على دينه، وتقرباً إلى الله، بالقيام بحقوقه وتحمل مؤنته.

وقال بعضهم: من اقتضى من إخوانه ما لا يقتضونه، فقد ظلمهم، ومن اقتضى منهم مثل ما يقتضونه، فقد أتعبهم، ومن لم يقتض، فهو المتفضل عليهم.

وقال بعض الحكماء: من جعل نفسه عند الإخوان، فوق قدره، فقد أثم وأثموا، ومن جعل نفسه في قدره، فقد تعب وأتعبهم، ومن جعلها دون قدره، سلم وسلموا.

وتمام التخفيف بطي بساط التكلف، حتى لا يستحي منه، فيما لا يستحي من نفسه.

---

(١) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي، ولد بالكوفة، وانتقل إلى مكة، جالس الأزهري، وغيره، كان من الحفاظ، وأهل الورع توفي بمكة سنة ١٩٨هـ.

وقال الجنيد: ما تواخى اثنان في الله، واستوحش أحدهما من صاحبه، أو احتشم، إلا لعلة في أحدهما.

وقال على -عليه السلام-: شر الأصدقاء من تكلف لك، ومن أحوجك إلى مداراة، وألجأك إلى اعتذار.

وقال الفضيل: إنما تقاطع الناس بالتكلف، يزور أحدهما أخاه، فيتكلف له، فيقطعه ذلك عنه.

وقالت عائشة: المؤمن أخو المؤمن، لا يغشه ولا يحتشمه.

وقال الجنيد: صحبت أربع طبقات من هذه الطائفة، كل طبقة ثلاثون رجلاً، حارثاً[١] المحاسبي وطبقته، وحسنا المسوحي[٢]، وطبقته، والسري السقطي[٣] وطبقته، وابن الكريبـي وطبقته، فما تواخى اثنان في الله، واحتشم أحدهما من صاحبه، أو استوحش، إلا لعله في أحدهما.

وقيل لبعضهم: من تصحب؟ قال: من يدفع عنك ثقل التكليف ويسقط بينك وبينه مؤنة التحفظ.

وكان جعفر بن محمد يقول: أثقل إخواني علي من يتكلف لي، وأتحفظ منه، وأخفهم على قلبي، من أكون معه كما أكون وحدي.

وقال بعض الصوفية: لا تعاشر من الناس، إلا من لا تزيد عنده ببر، ولا تنقص عنده بإثم ثم يكون ذلك لك وعليك، وأنت عنده سواء.

وإنما قال هذا، لأن به يتخلص عن التكلف والتحفظ، وإلا فالطبع يحمله على أن يتحفظ منه، إذا علم أن ذلك ينقصه عنده.

---

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي من صوفية مدرسة بغداد توفي سنة ٢٤٣هـ. التصوف الإسلامي في مدرسة بغداد ص ١٦٧.

(٢) الحسن بن علي أبو علي المسوحي، أحد كبراء الصوفية، له مجلس كبير، تاريخ بغداد ٣٦٦/٧.

(٣) هو سري بن المغلس السقطي: أحد كبار مشايخ الصوفية، تلميذ معروف الكرخي، توفي سنة ٢٥٣هـ.

وقال بعضهم كن مع أبناء الدنيا بالأدب، ومع أبناء الآخرة بالعلم، ومع العارفين كيف شئت.

وقال آخر: لا تصحب إلا من يتوب عنك، إذا أذنبت، ويتعذر إليك، إذا أسأت، ويحمل عنك مؤنة نفسك، ويكفيك مؤنة نفسه.

وقائل هذا قد ضيق طريق الأخوة على الناس وليس الأمر كذلك، بل ينبغي أن يوافي كل متدين عاقل، ويعزم أن يقوم بهذه الشرائط، ولا يكلفه هذه الشروط حتى تكثر إخوانه إذ به يكون مؤاخيا في الله. وإلا كانت مؤاخاته بحظوظ نفسه فقط.

ولذلك قال رجل للجنيد: قد عز الإخوان في هذا الزمان، أين أخ لي في الله ؟ فأعرض الجنيد حتى أعادها ثلاثا، فلما أكثر قال له الجنيد: إن أردت أخا يكفيك مؤنتك ويتحمل أذاك فهو لعمري قليل وإن أردت أخا في الله، تحمل أنت مؤنته وتصبر على أذاه، فعندي جماعة أعرفهم لك، فسكت الرجل.

واعلم أن الناس ثلاثة: رجل تنتفع بصحبته، ورجل تقدر على أن تنفعه، ولا تتضرر به، ولكن لا تنفع به، ورجل لا تقدر أيضا على أن تنفعه، وتتضرر به، وهو الأحمق، أو السيئ الخلق، وهذا الثالث ينبغي أن تتجنبه.

أما الثاني: فلا تجتنبه، لأنك تنتفع في الآخرة بشفاعته وبدعائه وبثوابك على القيام به.

وقد أوحى الله تعالى إلى موسى -عليه السلام-: إن أطعتني في أكثر إخوانك، أي إن واسيتهم واحتملت مؤنتهم، ولم تحسد هم.

وقد قال بعضهم: صحبت الناس خمسين سنة، فما وقع بيني وبينهم خلاف، لأني كنت معهم على نفسي، ومن كانت هذه شيمته كثر إخوانه.

ومن التخفيف وترك التكليف، وأن لا تعترضه في نوافل العبادات.

كان طائفة من الصوفية، يصحبون على شرط المساواة بين أربعة معان: إن أكل أحدهم النهار كله، لم يقل له صاحبه، صم. وإن صام الدهر كله، لم يقل له أفطر، وإن نام الليل كله، لم يقل له قم. وإن صلى الليل كله، لم يقل له نم، وتستوي حالاته عنده بلا مزيد ولا نقصان، لأن ذلك إن تفاوت حرك الطبع إلى الرياء والتحفظ لا محالة.

وقد قيل: من سقطت كلفته، دامت ألفته، ومن خفت مؤنته دامت مودته.

وقال بعض الصحابة: إن الله تعالى لعن المتكلفين. وقال ﷺ: «**أنا والأتقياء من أمتي براء من التكلف**» (١).

وقال بعضهم: إذا عمل الرجل في بيت أخيه أربع خصال، فقد تم أنسه به، إذا أكل عنده، ودخل الخلاء، ونام، وصلى.

فذكر ذلك لبعض المشايخ، فقال: بقيت خامسة، وهو أن يحضر مع أهله في بيت أخيه، ويجامعها. لأن البيت يتخذ للاستخفاء في هذه الأمور الخمس وإلا فالمساجد أروح لقلوب المتعبدين، فإذا فعل هذه الخمس، فقد تم الإخاء، وارتفعت الحشمة وتأكد الانبساط.

وقول العرب في تسليمهم يشير إلى ذلك، إذ يقول أحدهم لصاحبه، مرحبا وأهلاً وسهلاً، أي لك عندنا مرحب وهو السعة في القلب والمكان ولك عندنا أهل وتأنس بهم بلا وحشة لك منا. ولك عندنا سهولة في ذلك كله، أي لا يشتد علينا شيء مما تريد، ولا يتم التخفيف، وترك التكليف، إلا بأن يرى نفسه دون إخوانه، ويحسن الظن بهم، ويسيء الظن بنفسه، فإذا رآهم خيرا من نفسه، فعند ذلك يكون هو خيرا منهم.

قال أبو معاوية الأسود(٢): إخواني كلهم خير مني. قيل: وكيف ذلك؟ قال كلهم يرى لي الفضل عليه، ومن فضلني على نفسه، فهو خير مني.

وقد قال ﷺ: «**المرء على دين خليله، ولا خير** في **صحبة من لا يرى لك، مثل ما ترى له**»(٣).

فهذه أقل الدرجات، وهو النظر بعين المساواة والكمال، في رؤية الفضل

---

(١) قال النووي: ليس بثابت، وقال في المقاصد: روي معناه بسند ضعيف. الفوائد المجموعة ص٨٦.

(٢) اليمان بن معاوية الأسود، عابد زاهد. طبقات الشعراني ٦٢/١.

(٣) الشطر الأول من الحديث «لا خير في صحبة...» رواه ابن عدى في الكامل من حديث أنس بسند ضعيف، وقال الصغاني موضوع. الفوائد المجموعة ص٢٦٠. تذكرة الموضوعات ص ٢٠٤.

للأخ، ولذلك كان سفيان الثوري يقول: إذا قيل: لك يا شر الناس فغضبت، فأنت شر الناس، إذ ينبغي أن تكون معتقدا ذلك في نفسك أبدا، وسيأتي وجه ذلك في كتاب العجب والكبر.

وقد قيل في معنى التواضع، ورؤية الفضل للإخوان أبيات:

تذلل لمن إن تذللت له   يرى ذاك للفضل لا للبله

وجانب من الأصدقاء الذي   على الأصدقاء يرى الفضل له

وقال آخر:

كم صديق عرفته بصديق   صار أحظى من الصديق العتيق

ورفيق رأيته في طريق   صار عندي هو الصديق الحقيقي

ومهما رأي الفضل لنفسه، فقد احتقر أخاه، وهذا في عموم المسلمين مذموم.

وقال ﷺ: «**بحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم**».

ومن تتمة الانبساط، وترك التكلف، أن يشاور إخوانه في كل ما يقصده، ويقبل إشارتهم عليه، فقد قال تعالى: **وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ** [آل عمران: ١٥٩].

ولا ينبغي أن يخفي عنهم شيئا، من أسراره، كما روي أن يعقوب بن أخي معروف، قال: جاء أسود بن سالم، إلى عمي معروف، وكان مؤاخيا له، فقال: إن بشر بن الحارث يحب مؤاخاتك، وهو يستحي أن يشافهك بذلك، وقد أرسلني إليك أسألك أن تعقد له فيما بينك وبينه أخوة يحتسبها، ويعتد بها، إلا أنه يشترط فيها شروطا: لا يحب أن يشتهر بذلك ولا يكون بينك وبينه مزاورة ولا ملاقاة، فإنه يكره كثرة الالتقاء.

فقال معروف: أما أنا لو آخيت أحدا، لم أحب مفارقته ليلاً ولا نهارا، ولزرته في كل وقت، لآثرته على نفسي في كل حال، ثم ذكر من فضل الأخوة والمحبة في الله، أحاديث كثيرة، ثم قال فيها:

وقد آخى رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب -عليه السلام-، فشاركه في العلم، وقاسمه البدن، وأنكحه أفضل بناته وأحبهن إليه، وخصه بذلك لمؤاخاته.

وأنا أشهدك أني عقدت له أخوة بيني وبينه وعقدت إخاءه في الله لرسالتك،

ولمسألته على أن لا يزورني إن كره ذلك، ولكني أزوره متى أحببت، وآمره أن يلقاني في مواضع نلتقي فيها، وآمره أن لا يخفي عني شيئا من شأنه وأن يطلعني على جميع أحواله.

فأخبر ابن سالم بشرا بذلك فرضي، وسر به، فهذا جامع حقوق الصحبة، وقد أجملناه مرة، وفصلناه أخرى، ولا يتم ذلك إلا بأن تكون على نفسك للإخوان، ولا تكون لنفسك عليهم، وأن تنـزل نفسك منـزلة الخادم لهم، فتقبل بحقوقهم جميع جوارحك.

أما النظر: فبأن تنظر إليهم نظرة مودة يعرفونا منك، وتنظر إلى محاسنهم، وتتعامى عن عيوم، ولا تصرف بصرك عنهم، في وقت إقبالهم عليك، وكلامهم معك.

روي أن النبي ﷺ: «**كان يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه وما استصغاه أحد، إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى كان مجلسه، وسمعه وحديثه، ولطيف مسألته، وتوجهه للجالس إليه**».

وكان مجلسه مجلس حياء وتواضع وأمانة، وكان ﷺ أكثر الناس تبسما وضحكا في وجوه أصحابه وتعجبا مما يتحدثون به، وكان ضحك أصحابه عنده التبسم، إقتداء منهم بفعله، وتوقيرا له ﷺ.

وأما السمع: فأن تسمع كلامهم، متلذذًا بسماعه، ومصدقا به، ومظهرا للاستبشار به، ولا تقطع حديثهم عليهم بمراده، ولا منازعة ومداخلة، وإعراض. فإن أرهقك عارض اعتذرت إليهم، وتحرس سمعك عن سماع ما يكرهون.

وأما اللسان: فقد ذكرنا حقوقه، فإن القول فيه يطول. ومن ذلك أن لا يرفع صوته عليهم، ولا يخاطبهم، إلا بما يفقهون.

وأما اليدان: فأن لا يقبضهما عن معونتهم، في كل ما يتعاطى باليد.

وأما الرجلان: فإنه يمشي ما وراءهم، مشي الأتباع، لا مشي المتبوعين، ولا يتقدمهم إلا بقدر ما يقدمونه، ولا يقرب منهم إلا بقدر ما يقربونه، ويقوم لهم، إذا أقبلوا ولا يقعد إلا بقعودهم، ويقعد متواضعا حيث يقعدون.

ومهما تم الاتحاد خف حمله من هذه الحقوق، مثل القيام والاعتذار والثناء،

فإنا من حقوق الصحبة، وفي ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف.

فإذا تم الاتحاد انطوى بساط التكلف بالكلية، فلا يسلك به إلا مسلك نفسه: لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان آداب الباطن وصفاء القلب.

ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها، ومن كان نظره إلى صحبة الخلق، فتارة يعوج، وتارة يستقيم.

ومن كان نظره إلى الخالق، لزم الاستقامة ظاهرا وباطنا وزين باطنه بالحب لله ولخلقه وزين ظاهره بالعبادة لله والخدمة لعباده فإنا أعلى أنواع الخدمة لله، إذ لا وصول إليها، إلا بحسن الخلق، ويدرك العبد بحسن خلقه درجة القائم الصائم وزيادة.

خاتمة لهذا الباب

نذكر فيها جملة آداب العشرة والمجالسة مع أصناف الخلق ملتقطة من كلام بعض الحكماء

إن أردت حسن العشرة، فالق صديقك وعدوك، بوجه الرضا من غير ذلة لهم، ولا هيبة منهم، وتوقير من غير كبر، وتواضع في غير مذلة.

وكن في جميع أمورك في أوسطها، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم. ولا تنظر في عطفيك، ولا تكثر الالتفات، ولا تقف على الجماعات وإذا جلست فلا تستوفز، وتحفظ من تشبيك أصابعك والعبث بلحيتك وخاتمك، وتخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، وتنخمك، وطرد الذباب عن وجهك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجوه الناس وفي الصلاة وغيرها، وليكن مجلسك هاديا، وحديثك منظوما مرتبا، واصغ إلى الكلام الحسن، ممن يحدثك، من غير إظهار تعجب مفرط، ولا تسأله إعادته، واسكت عن المضاحك من الحكايات، ولا تحدث عن إعجابك بولدك ولا جاريتك، ولا شعرك ولا تصنيفك، وسائر ما يخصك ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تتبذل تبذل العبد، وتوق كثرة الكحل والإسراف في الدهن، ولا تلح في الحاجات، ولا تشجع أحدا على الظلم، ولا تعلم أهلك وولدك فضلا عن غيرهم، مقدار مالك، فإنهم إن رأوه قليلا هنت عليهم، وإن كان كثيرا لم تبلغ فيه رضاهم، وخوفهم في غير عنف، ولن لهم من غير ضعف، ولا تهازل أمتك، ولا عبدك فيسقط وقارك إذا خاصمت فتوقر، وتحفظ من جهلك، وتجنب عجلتك، وتفكر في حجتك، ولا تكثر الإشارة بيديك، ولا تكثر الالتفات إلى من وراءك، ولا تجث على ركبتيك، وإذا ذهب غيظك فتكلم، وإن قربك سلطان، فكن معه على مثل حد السنان، فإن استرسل إليك، فلا تأمن انقلابه عليك، وارفق به رفقك بالصبي، وكلمه بما يشتهيه ما لم يكن معصية، ولا يحملنك لطفه بك، أن تدخل بينه وبين أهله وولده وحشمه، وإن كنت لذلك مستحقا عنده، فإن سقطة الداخل بين الملك وبين أهله، سقطة لا تنعش، وزلة لا تقال، وإياك وصديق العافية، فإنه أعدى الأعداء، ولا تجعل مالك أكرم من عرضك.

وإذا دخلت مجلسا فالأدب فيه البداية بالتسليم، وترك التخطي لمن سبق، والجلوس حيث اتسع، وحيث يكون أقرب التواضع، وأن تحيي بالسلام من قرب

منك عند الجلوس.

ولا تجلس على الطريق، فإن جلست فأدبه غض البصر، ونصرة المظلوم، وإغاثة الملهوف، وعون الضعيف، وإرشاد الضال، ورد السلام، وإعطاء السائل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والارتياد لموضع البصاق، ولا تبصق في جهة القبلة، ولا عن يمينك، ولكن عن يسارك، أو تحت قدمك اليسرى. ولا تجالس الملوك، فإن فعلت: فأدبه ترك الغيبة، ومجانبة الكذب، وصيانة السر، وقلة طلب الحوائج، و ذيب الألفاظ، والإعراب في الخطاب، والمذاكرة بأخلاق الملوك، وقلة المداعبة، وكثرة الحذر منهم -وإن ظهرت لك المودة - ولا تتجشأ بحضر م، ولا تتخلل بعد الأكل عنده، وعلى الملك أن يحتمل كل شيء إلا إفشاء السر، والقدح في الملك، والتعرض للحرم.

ولا تجالس العامة، فإن فعلت: فأدبه ترك الخوض في حديثهم وقلة الإصغاء إلى أراجيفهم والتغافل عما يجري من سوء ألفاظهم، وقلة اللقاء لهم مع الحاجة إليهم.

وإياك أن تمازح لبيبا، أو غير لبيب، فإن اللبيب يحقد عليك، والسفيه يجترئ عليك، لأن المزاح يخرق الهيبة، ويسقط المنـزلة. ويذهب ماء الوجه، ويعقب الحقد، ويذهب بحلاوة الود، ويشين فقه الفقيه، ويجرئ السفيه، ويسقط المنـزلة عند الحكيم ويمقته المتقون، ويميت القلب، ويباعد عن الرب تعالى، ويكسب الغفلة، ويورث الذلة، وبه تظلم السرائر، وتموت الخواطر، وبه تكثر العيوب، وتبين الذنوب.

وقد قيل: لا يكون المزاح إلا من سخف، أو بطر.

ومن بلى في مجلس بمزاح، أو لغط، فليذكر الله عند قيامه.

قال -عليه السلام- «**من جلس** في **مجلس، فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت استغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان** في **مجلسه ذلك**» (١).

(١) رواه الترمذي ٤٩٥/٥، وأبو داود ٢٦٥/٤.

الباب الثالث

في حق المسلم، والرحم، والوالدين، والجوار، والملك، وكيفية المعاشرة مع من يدلي بهذه الأسباب

اعلم أن الإنسان إما أن يكون وحده، أو مع غيره، وإذا تعذر عيش الإنسان وحده، إلا بمخالطة من هو من جنسه، لم يكن له بد من تعلم آداب المخالطة، وكل مخالط، ففي مخالطته أدب، والأدب على قدر حقه، وحقه على قدر رابطته، التي ا وقعت المخالطة.

والرابطة إما القرابة وهي أخصها، أو أخوة الإسلام، وهي أعمها، وينطوي في معنى الأخوة، والصداقة والصحبة.

وأما الجوار، وأما صحبة السفر، أو المكتب، أو الدرس، وإما الصداقة والأخوة.

ولكل واحدة من هذه الروابط درجات.

فالقرابة لها حق، ولكن حق الرحم المحرم آكد، وللرحم المحرم حق. ولكن حق الوالدين آكد. وكذلك حق الجار، ولكن يختلف بحسب قربه من الدار وبعده، ويظهر التفاوت عند النسبة، حتى إن البلدي في بلاد الغربة، يجري مجرى القريب في الوطن، لاختصاصه بحق الجوار في البلد، وكذلك حق المسلم يتأكد، بتأكد المعرفة، وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف بالسماع، بل آكد منه. والمعرفة بعد وقوعها تتأكد بالاختلاط وكذلك الصحبة تتفاوت درجا ا، فحق الصحبة في الدرس، والمكتب، آكد من حق صحبة السفر.

وكذلك الصداقة تتفاوت، فإنا إذا قويت صارت أخوة، فإن ازدادت، صارت محبة، فإن ازدادت صارت خلة، والخليل أقرب من الحبيب، فالمحبة ما تتمكن من حبة القلب، والخلة ما يتخلل سر القلب.

وكل خليل حبيب، وليس كل حبيب خليلا.

وتفاوت درجات الصداقة، لا يخفى بحكم المشاهدة والتجربة. فأما كون الخلة فوق الأخوة، فمعناه أن لفظ الخلة، عبارة عن حالة هي أتم من الأخوة.

وتعرفه من قوله ﷺ: «**لو كنت متخذا خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلا ولكن صاحبكم خليل الله**»[١]. إذ الخليل هو الذي يتخلل الحب جميع أجزاء قلبه ظاهرا وباطنا، ويستوعبه.

ولم يستوعب قلبه ﷺ سوى حب الله وحده.

وقد منعته الخلة عن الاشتراك فيه، مع أنـه اتخذ عليا رضي الله عنه أخا. فقال: «**علي مني بمنـزلة هارون من موسى، إلا النبوة**»[٢] فعدل بعلي عن النبوة، كما عدل بأبي بكر عن الخلة، فشارك أبو بكر عليا رضي الله عنه في الأخوة، وزاد عليه بمقاربة الخلة، وأهليته لها، لو كان للشركة في الخلة مجال. فإنه نبه على ذلك بقوله «**لاتخذت أبا بكر خليلا**».

وكان ﷺ حبيب الله، وخليله، ويروى أنه صعد المنبر يوما مستبشرا فرحا، فقال: «**إن الله قد اتخذني خليلا، كما اتخذ إبراهيم خليلا، فأنا حبيب الله، وأنا خليل الله**»[٣].

فإذا ليس قبل المعرفة رابطة، ولا بعد الخلة درجة، وما سواهما من الدرجات

---

(١) والحديث رواه البخاري ١٩١/٤، مسلم ١٨٥٥/٤.

(٢) رواه البخاري ٢٠٨/٤، ومسلم ١٨٧٠/٤. قال السيوطي: هذا الحديث أخرجه جماعة من الأئمة... وكان في نفسي منه شيء ثم رأيت أبا أحمد الحاكم في الكنى نقل عن البخاري، أنه قال: حدثنا حسان بن حسان، حدثنا: إبراهيم بن بشر أبو عمرو عن يحيى بن معن المديني، حدثني إبراهيم القرشي عن سعد بن شرحبيل عن زيد بن أبي أوفى به. وقال: هذا إسناد مجهول، لا يتابع عليه، ولا يعرف سماع بعضهم من بعض منتخب كنـز العمال ٣٧٠/٣.

وقال الشوكاني: رواه ابن حبان عن سعد بن أبي وقاص مرفوعا، وقال باطل، وفي إسناده حفص بن عمر الأبلي كذاب، يحدث عن الأئمة بالبواطيل. انظر الحقائق ا موعة ص ٣٥٧، انظر في ذلك اللآلئ المصنوعة ٣٤٢/١.

(٣) أخرجه الطبراني من حديث أبي أمامة بسند ضعيف، دون قوله «فأنا حبيب الله، وأنا خليل الله». المغني ١٩٣/٢. وروى الترمذي ٥٨٨/٥ «ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر...».

بينهما.

وقد ذكرنا حق الصحبة والأخوة، ويدخل فيه ما وراءهما من المحبة والخلة، وإنما تتفاوت الرتب في تلك الحقوق كما سبق، بحسب تفاوت رتب المحبة والأخوة، حتى ينتهي أقصاها إلى أن يوجب الإيثار بالنفس والمال، كما آثر أبو بكر ﷺ نبينا ﷺ، وكما آثره طلحة ﷺ ببدنه، إذ جعل نفسه وقاية لشخصه العزيز صلوات الله عليه وسلامه، ونحن الآن نريد أن نذكر حق أخوة الإسلام وحق الرحمن وحق الوالدين وحق الجوار، وحق الملك - أعني ملك اليمين - فإن ملك النكاح، قد ذكرنا حقوقه في كتاب آداب النكاح.

حقوق المسلم

وهي: أن تسلم عليه إذا لقيته، وتجيبه إذا دعاك،وتشمته إذا عطس، وتعوده إذا مرض، وتشهد جنازته إذا مات، وتبر قسمه إذا أقسم عليك، وتنصح له إذا استنصحك، وتحفظه بظهر الغيب إذا غاب عنك، وتحب له ما تحب لنفسك وتكره له ما تكره لنفسك.

ورد جميع ذلك في أخبار وآثار.

وقد روى أنس عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أربع من حق المسلمين عليك: أن تعين محسنهم، وأن تستغفر لمذنبهم، وأن تدعو لمدبرهم، وأن تحب تائبهم**»(١). وقال ابن عباس -رضي الله عنهما- في معنى قوله تعالى: «**رحماء بينهم**» قال: يدعو صالحهم لطالحهم، وطالحهم لصالحهم، وإذا نظر الطالح إلى الصالح من أمة محمد ﷺ قال: «**اللهم بارك له فيما قسمت له من الخير، وثبته عليه، وانفعنا به**».

وإذا نظر الصالح إلى الطالح قال: «**اللهم اهده، وتب عليه، واغفر له عثرته**».

حب الخير

ومنها: أن يحب لكافة المؤمنين ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه.

قال النعمان بن بشير: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مثل المؤمنين في توادهم**

---

(١) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس ولم أجد له أصلا المغني ٢/ ١٩٤.

وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو منه، تداعى سائره بالحمى والسهر»[١].

وروى أبو موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا**»[٢].

الكف عن الأذى

ومنها: أن لا يؤذي أحدا من المسلمين، بفعل ولا قول، قال ﷺ: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**» [٣].

وقال ﷺ في حديث طويل يأمر فيه بالفضائل: «**فإن لم تقدر فدع الناس من الشر، فإنها صدقة، تصدقت بها على نفسك**»[٤].

وقال أيضا: «**أفضل المسلمين من سلم المسلمون من لسانه ويده**»[٥].

وقال -عليه السلام-: «**أتدرون من المسلم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. قالوا: فمن المؤمن؟ قال: من أمنه المؤمنون على أنفسهم. قالوا: فمن المهاجر؟ قال: من هجر السوء واجتنبه، فقال رجل يا رسول الله، ما الإسلام؟ فقال: أن يسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك**»[٦].

---

(١) الحديث رواه البخاري، التجريد الصريح ١٣٩/٢، ومسلم ١٩٩٩/٤.

(٢) رواه البخاري ٨٠/٧، ومسلم ٤/ ١٩٩٩

(٣) رواه البخاري١/ ٨، ومسلم ١/ ٦٥ والنسائي ٨/ ١٠٥.

(٤) البخاري ٧/ ٧٩، مسلم ٢/ ٦٩٩.

(٥) البخاري ١/ ٩، مسلم ١/ ٦٦.

(٦) أخرجه الطبراني والحاكم، وصححه من حديث فضالة بن عبيد «ألا أخبركم بالمؤمن؟ من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب».

ورواه ابن ماجة مقتصرا على «المؤمن والمهاجر» ١٢٩٨/٢.

وللحاكم من حديث أنس، وقال: على شرط مسلم والمهاجر من هجر السوء، ولأحمد بإسناد صحيح من حديث عمر بن عنبسه: قال رجل: يا رسول الله: ما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله، ويسلم المسلمون من لسانك ويدك. انظر المغني ١٩٥/٢.

وقال مجاهد: يسلط على أهل النار الجرب فيحتكون حتى يبدو عظم أحدهم من جلده، فينادى يا فلان: هل يؤذيك هذا؟ فيقول: نعم فيقول: هذا بما كنت تؤذي المؤمنين.

وقال ﷺ: «**لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها عن ظهر الطريق، كانت تؤذي الناس**»(١).

وقال أبو هريرة رضى الله عنه: يا رسول الله علمني شيئا أنتفع به. قال:«**أعزل الأذى عن طريق المسلمين**»(٢).

قال ﷺ: «**من زحزح عن طريق المسلمين شيئا يؤذيهم، كتب الله له به حسنة، ومن كتب الله له حسنة أوجب له بها الجنة**» (٣).

وقال ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يشير إلى أخيه بنظرة تؤذيه**».

وقال: «**لا يحل لمسلم أن يروع مسلما**»(٤).

وقال ﷺ: «**إن الله تعالى يكره أذى المؤمن**» (٥).

وقال الربيع بن خثيم رضي الله عنه: الناس رجلان مؤمن فلا تؤذه، وجاهل فلا تجاهله.

التواضع

ومنها: أن يتواضع لكل مسلم، ولا يتكبر عليه، فإن الله لا يحب كل مختال فخور. وقال ﷺ: «**إن الله تعـالى أوحى إليّ أن تواضعـوا حتى لا يفخر أحـد على أحد**» (٦).

ثم إن تفاخر عليه غيره فليحتمل، قال الله تعالى لنبيه -عليه السلام-: **خذِ**

(١) رواه مسلم ٢٠٢١/٤.
(٢) رواه مسلم ٢٠٢١/٤.
(٣) رواه أحمد من حديث أبي الدرداء بسند ضعيف. المغني ١٩٥/٢.
(٤) أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية حمزة بن عبيد مرسلا بسند ضعيف، وفي البر والصلة له من زيادات الحسين المروزي وهو الصواب. المغني٢/ ١٩٥.
(٥) أخرجه ابن المبارك في الزهد من رواية عكرمة بن خالد مرسلا، بإسناد جيد. المغني١٩٥/٢.
(٦) رواه أبو داود ٢٧٤/٤، والمسلم «حتى لا يبغي أحد على أحد ولا يفخر أحد على أحد» بلوغ المرام ص٢٨٠.

العفْو وأمرْ بالعرْفِ وأعْرضْ عن الجَاهِلِين [الأعراف: ١٩٩].

وعن ابن أبي أوفى قال: كان رسول الله ﷺ يتواضع لكل مسلم، ولا يأنف، ولا يتكبر أن يمشي مع الأرملة، والمسكين فيقضي حاجته.

النميمة

ومنها: أن لا يسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض، ولا يبلغ بعضهم، ما يسمع من بعض.

قال ﷺ: «**لا يدخل الجنة قتات**»(١).

وقال الخليل بن أحمد: من نم لك، نم عليك، ومن أخبرك بخبر غيرك، أخبر غيرك بخبرك.

الهجرة

ومنها: أن لا يزيد في الهجر، لمن يعرفه على ثلاثة أيام، مهما غضب عليه.

وقال أبو أيوب الأنصاري: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، يلتقيان، فيعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام**»(٢).

وقال ﷺ: «**من أقال مسلما عثرته، أقاله الله يوم القيامة**» (٣).

وقال عكرمة: قال الله ليوسف بن يعقوب: بعفوك عن إخوتك، رفعت ذكرك في الدارين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ما عفا رجل عن مظلمة إلا زاده الله ا عزا وقال ﷺ: «**ما نقص مال من صدقة، وما زاد الله رجلا بعفو إلا عزا، وما من أحد تواضع لله، إلا رفعه الله**».

---

(١) الحديث رواه البخاري ٨٦/٧. ومسلم ١٠١/١.

(٢) البخاري ٩٠/٧، مسلم ٤/ ١٩٨٤.

(٣) رواه أبو داود ٢٧٤/٣.

الإحسان

ومنها: أن يحسن إلى كل من قدر عليه منهم، ما استطاع، لا يميز بين الأهل، وغير الأهل.

وروى علي بن الحسين عن أبيه عن جده ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**اصنع المعروف إلى أهله، وإلى غير أهله فإن أصبت أهله، فهو أهله وإن لم تصب أهله، فأنت من أهله**»[١].

وبإسناده، قال رسول الله ﷺ: «**رأس العقل بعد الدين التودد إلى الناس، واصطناع المعروف إلى كل بر وفاجر**»[٢].

وقال أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ لا يأخذ أحد بيده، فينـزع يده، حتى يكون الرجل هو الذي يرسلها، ولم يكن ترى ركبته خارجة عن ركبة جليسه، ولم يكن أحد يكلمه إلا أقبل عليه بوجهه، ثم لم ينصرف عنه حتى يفرغ من كلامه.

الاستئذان

ومنها: أن لا يدخل على أحد منهم، إلا بإذنه، بل يستأذن ثلاثا، فإن لم يؤذن له انصرف.

قال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**الاستئذان ثلاث، فالأولى يستنصتون، والثانية يستصلحون، والثالثة يأذنون أو يردون**»[٣].

---

(١) ذكره الدار قطني في العلل وهو ضعيف، ورواه القضاعي مرسلا بسند ضعيف. المغني ١٩٦/٢، قال الشوكاني: قال في الذيل: من نسخة عبد الله بن أحمد الموضوعة، الفوائد المجموعة ص٨٣.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط والخطابي في تاريخ الطالبيين، وفي الحلية دون واصطناع... إلى آخره، وقال الطبراني: (التحبب). المغني ٢/ ١٩٦ منتخب كنـز العمال ٣٦٤/٣.

(٣) أخرجه الدار قطني في الأفراد بسند ضعيف، وروى البخاري، إذا استأذن أحدكم ثلاثا، فلم يؤذن له فليرجع» ١٣٠/٧، وكذا مسلم، أبو داود ٣٤٥/٤ ٦٩٤/٤.

الخلق الحسن

ومنها: أن يخالق الجميع بخلق حسن، ويعاملهم بحسب طريقته. فإنه إن أراد لقاء الجاهل بالعلم والأمي بالفقه، والعي بالبيان آذى وتأذى.

توقير المشايخ

ومنها: أن يوقر المشايخ، ويرحم الصبيان.

قال جابر، قال رسول الله ﷺ: «**ليس منا من لم يوقر كبيرنا، ولم يرحم صغيرنا**»(١).

وقال ﷺ: «**من إجلال الله، إكرام ذي الشيبة المسلم**»(٢) ومن تمام توقير المشايخ، أن لا يتكلم بين أيديهم إلا بإذن.

وقال جابر: قدم وفد جهينة على رسول الله ﷺ: فقام غلام ليتكلم، فقال ﷺ: «**مه فأين الكبير**»(٣).

وفي الخبر: «**ما وقر شاب شيخا لسنه، إلا قيض الله له في سنه من يوقره**»(٤) وهذه بشارة بدوام الحياة، فلينتبه لها، فلا يوفق لتوقير الشيوخ إلا من قضي له بطول

(١) رواه أبو داود ٢٨٦/٤.

(٢) رواه أبو داود ٤/ ٢٦٢، ونصه: «إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم. وحامل القرآن غير الغالي فيه والجافي عنه، وإكرام ذي السلطان المقسط».
قال الشوكاني: رواه ابن حبان عن ابن عمر مرفوعا، وقال ابن الجوزي في إسناده، مسلم ابن عطية الفقيمي، يتفرد عن الثقات بما لا يشبه حديثهم.
وقال في الميزان: إنه لين الحديث.
وقال ابن حبان: لا أصل له، وفي إسناده عبد الرحيم بن حبيب الفاريابي، لعله وضع أكثر من خمسمائة حديث.
وقال ابن حجر في تخريج أحاديث الرافعي: لم يصب ابن حبان، ولا ابن الجوزي في قولهم: لا أصل لهذا الحديث، بل له الأصل الأصيل من حديث أبي موسى عن أبي داود. الفوائد المجموعة ص ٤٨٧.

(٣) أخرجه الحاكم. المغني ٢/ ١٩٦.

(٤) رواه الترمذي بإسناد ضعيف بلفظ «ما أكرم، ومن يكرمه» ٣٧٢/٤.

العمر.

وقالﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يكون الولد غيظًا، والمطر قيضا وتفيض اللئام فيضا وتغيظ الكرام غيضا، ويجترئ الصغير على الكبير، واللئيم على الكريم**»[١].

التلطف بالصبيان

والتلطف بالصبيان من عادة رسول الله ﷺ. وكان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان، فيقف عليهم، ثم يأمر بهم فيرفعون إليه، فيرفع منهم بين يديه، ومن خلفه، ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم فربما تفاخر الصبيان بعد ذلك. فيقول بعضهم: حملني رسول الله ﷺ بين يديه وحملك أنت وراءه ويقول بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم.

وكان يؤتى بالصبي الصغير، ليدعو له بالبركة، وليسميه فيأخذه، فيضعه في حجره فربما بال الصبي، فيصيح به بعض من يراه فيقول: لا تزرموا الصبي بوله[٢] فيدعه حتى يقضي بوله ثم يفرغ من دعائه له وتسميته، ويبلغ سرور أهله فيه لئلا يروا أنه تأذى ببوله، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده.

طلاقة الوجه

ومنها: أن يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رقيقًا.

وقال ﷺ: «**أتدرون على من حرمت النار**»؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**على الهين اللين السهل القريب**»[٣].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يحب السهل الطلق الوجه**»[٤].

---

(١) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق والطبراني بإسناد ضعيف، المغني ٢/ ١٩٦.

(٢) رواه مسلم وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه الترمذي من حديث ابن مسعود، ولم يقل "اللين" وذكرها الخرائطي من رواية محمد ابن أبي معيقيب عن أمه قال الترمذي حسن غريب. المغني ١٩٧/٢.

(٤) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان بسند ضعيف ورواه من رواية مورق العجلي مرسلا.

وقال بعضهم: يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة. فقال«**إن من موجبات المغفرة، بذل السلام، وحسن الكلام**»(١).

وقال عبد الله بن عمر رضى الله عنه: إن البر شيء هين، وجه طليق، وكلام لين.

وقال ﷺ «**اتقوا النار ولو بشق تمرة، فمن لم يجد، فبكلمة طيبة**»(٢).

وقال ﷺ: «**إن في الجنة لغرفًا ترى ظهورها من بطو ا، وبطو ا من ظهورها. فقال أعرابي: لمن هي يا رسول الله؟ قال: لمن أطاب الكلام وأفشى السلام، وأطعم الطعام، وصلى بالليل، والناس نيام**»(٣).

وقال معاذ بن جبل: قال لي رسول الله ﷺ: «**أوصيك يا معاذ بتقوى الله، وصدق الحديث، ووفاء العهد، وأداء الأمانة، وترك الخيانة، وحفظ الجار، ورحمة اليتيم، ولين الكلام، وبذل السلام، وخفض الجناح**»(٤).

وقال أنس رضي الله عنه: «**عرضت لرسول الله ﷺ امرأة، وقالت: لي معك حاجة وكان معه ناس من أصحابه رضي الله عنهم فقال اجلسي في أي نواحي السكك شئت، أجلس إليك، ففعلت، فجلس إليها، حتى قضت حاجتها**» (٥).

وقال وهب بن منبه: إن رجلا من بني إسرائيل، صام سبعين سنة، يفطر في كل سبعة أيام، يسال الله تبارك وتعالى أن يريه كيف يغوي الشيطان الناس، فلما طال عليه ذلك، ولم يجب، قال: لو أطلعت على خطيئتي وذنبي بيني وبين ربي، لكان

=

المغني ١٩٧/٢

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق واللفظ له. والبيهقي في شعب الإيمان من حديث هاني بن يزيد بإسناد جيد. المغني ١٩٧/٢.

(٢) متفق عليه من حديث عدي بن حاتم التجريد الصريح ٩٧/١، مسلم ٧٠٤/٢.

(٣) رواه الترمذي من حديث على، وقال: حديث غريب ٦٧٣/٤، قال العراقي: هو ضعيف، المغني ١٩٧/٢.

(٤) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في كتاب الزهد وأبو نعيم في الحلية، ولم يقل البيهقي «خفض الجناح» وإسناده ضعيف. المغني ١٩٧/٢.

(٥) رواه مسلم ١٨١٣/٤.

خيرا من هذا الأمر الذي طلبته. فأرسل الله إليه ملكا، فقال له: إن الله تعالى أرسلني إليك، وهو يقول لك: إن كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إلي مما مضى من عبادتك، وقد فتح الله بصرك فانظر. فنظر، فإذا جنود إبليس، قد أحاطت بالأرض، وإذا ليس أحد من الناس، إلا والشياطين حوله كالذباب. فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ فقال: الورع اللين.

الوفاء بالوعد

ومنها: أن لا يعد مسلما بوعد إلا ويفي به.

قال ﷺ: «**العدة عطية**»(١) وقال: «**العدة دين**» (٢).

وقال: «**آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف. وإذا ائتمن خان**» (٣).

قال ﷺ: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق، وإن صام وصلى**» وذكر ذلك.

الإنصاف

ومنها: أن ينصف الناس من نفسه، ولا يأتي إليهم، إلا بما يحب أن يؤتى إليه.

قال ﷺ: «**لا يستكمل العبد الإيمان حتى تكون فيه ثلاث خصال: الإنفاق من الإقتار، والإنصاف من نفسه، وبذل السلام**»(٤).

وقال ﷺ: «**من سره أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة، فلتأته منيته، وهو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وليؤت إلى الناس، ما يحب أن يؤتى إليه**» (٥).

---

(١) رواه الطبراني بسند ضعيف المغني ١٩٨/٢، ورواه الترمذي ١٢٨/٥ عن جحيفة «من كـانت له عند رسول الله ﷺ عـدة فليجئ فقمت إليه فأخبرته، فأمر لنا ا».

(٢) رواه الطبراني بسند ضعيف. المغني١٩٨/٢.

(٣) رواه البخاري ١٤/١، ولمسلم «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم» ٧٨/١.

(٤) رواه البخاري موقوفا على عمار بن ياسر ١٢/١.

(٥) روى مسلم نحوه ٦١/١، والنسائي ١٥٣/٧، ورواه الخرائطي بلفظه في مكارم الأخلاق. المغني ١٩٨/٢.

وقال ﷺ: «**يا أبا الدرداء أحسن مجاورة من جاورك، تكن مؤمنا، وأحب للناس ما تحب لنفسك، تكن مسلما**»[1].

قال الحسن: أوحى الله تعالى إلى آدم -عليه السلام-، بأربع، وقال: فيهن جماع الأمر لك ولولدك، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة بيني وبينك، وواحدة بينك وبين الخلق.

فأما التي لي: فتعبدني، ولا تشرك بي شيئا، وأما التي لك، فعملك أجزيك به، أفقر ما تكون إليه.

وأما التي بيني وبينك، فعليك الدعاء، وعلي الإجابة.

وأما التي بينك وبين الناس، فتصحبهم بالذي تحب أن يصحبوك به.

وسأل موسى -عليه السلام- ربه تعالى، فقال: أي رب أي عبادك أعدل؟ قال: من أنصف من نفسه.

تنـزيل الناس منازلهم

ومنها: أن يزيد في توقير من تدل هيأته وثيابه، على علو منـزلته، فينـزل الناس منازلهم.

روي أن عائشة رضي الله عنها كانت في سفر فنـزلت منـزلا فوضعت طعامها، فجاء سائل، فقالت عائشة رضي الله عنها: "ناولوا هذا المسكين قرصا. ثم مر رجل على دابة، فقالت: أدعوه إلى الطعام. فقيل لها: تعطين هذا المسكين، وتدعين هذا الغني؟ فقالت: إن الله تبارك وتعالى قد أنـزل الناس منازل، فلا بد لنا أن ننـزلهم تلك المنازل. هذا المسكين يرضى بقرص. وقبيح بنا أن نعطي هذا الغني، على هذه الهيأة قرصا.

وروي أنه -عليه السلام- دخل بعض بيوته، فدخل عليه أصحابه حتى غص المجلس، وامتلأ، فجاء جرير بن عبد الله العجلي، فلم يجد مكانا، فقعد على الباب، فلف رسول الله ﷺ رداءه فألقاه إليه، وقال له: اجلس على هذه. فأخذه جرير بن

(١) تقدم، والمعروف أنه قاله لأبي هريرة.

عبد الله العجلي، ووضعه على وجهه، وجعل يقبله ويبكي، ثم لفه ورمى به إلى رسول الله ﷺ.

وقال: ما كنت لأجلس على ثوبك، أكرمك الله، كما أكرمتني. فنظر النبي ﷺ يمينا وشمالا، ثم قال: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**» (١).

وكذلك كل من له عليه حق قديم، فليكرمه.

روي أن ظئر رسول الله ﷺ التي أرضعته جاءت إليه، فبسط لها رداءه، ثم قال لها: مرحبا بأمي. ثم أجلسها على الرداء، ثم قال لها: **اشفعي تشفعي، وسلي تعطي. فقالت:قومي. فقال: أما حقي وحق بني هاشم، فهو لك**. فقام الناس من كل ناحية، وقالوا: وحقنا يا رسول الله. ثم وصلها بعدد من الإبل والغنم بعد، وأخدمها، ووهبها سهما له من خيبر، فبيع ذلك من عثمان بن عفان رضي الله عنه بمائة ألف درهم.

وربما أتاه من يأتيه، وهو على وسادة جالس، ولا يكون فيها سعة، يجلس معه، فينـزعها ويضعها تحت الذي يجلس إليه، فإن أبى عزم عليه حتى يفعل.

إصلاح ذات البين

ومنها: أن يصلح ذات البين بين المسلمين، مهما وجد إليه سبيلا.

قال ﷺ: «**ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام، والصلاة، والصدقة؟ فالوا: بلى. قال: إصلاح ذات البين، وإياكم والبغضاء، فإ ا هي الحالقة، وفساد ذات البين هي الحالقة**» (٢).

وقال أيضا: «**أفضل الصدقة، إصلاح ذات البين**»(٣).

---

(١) رواه العسكري في الأمثال منتخب كنـز العمال ٤١١/٣.

قال ابن الجوزي: لا يصح. وتعقبه السيوطي، فقال: ورد الحديث من رواية أكثر من عشرة من الصحابة، فهو متواتر على رأي من يكتفي في التواتر بعشرة ... وذكر تخريج الحديث. اللآلئ المصنوعة٢٩٩/٢.

(٢) رواه أبو داود ٢٨٠/٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير، والخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث عبد الله بن عمرو،

وعن أنس رضى الله عنه قال: بينما رسول الله ﷺ جالس، إذ ضحك حتى بدت ثناياه، فقال عمر ﷺ: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، ما الذي أضحكك؟ قال: «**رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة، فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظلمتي من هذا. فقال الله تعالى: رد على أخيك مظلمته. فقال: يا رب لم يبق لي من حسناتي شيء. فقال الله تعالى للمطالب: كيف تصنع بأخيك، ولم يبق من حسناته شيء؟ فقال: يا رب فليحمل عني من أوزاري شيئا. ففاضت عينا رسول الله ﷺ بالبكاء، ثم قال: إن ذلك ليوم عظيم يوم يحتاج الناس فيه إلى أن يحمل عنهم أوزارهم قال: فيقول الله -عز وجل- أي للمتظلم- ارفع بصرك، فانظر إلى الجنان. فقال: يا رب أرى مدائن من فضة وقصور من ذهب مكللة باللؤلؤ، لأي نبي هذا، أو لأي صديق أو لأي شهيد هذا؟ قال الله -عز وجل-: لمن أعطى الثمن. قال: يا رب من يملك ذلك؟ قال: أنت تملكه قال: بماذا يا رب؟ قال: بعفوك عن أخيك. قال: يا رب قد عفوت عنه. قال الله تعالى: خذ بيد أخيك فأدخله الجنة**».

ثم قال رسول الله ﷺ: «**اتقوا الله، وأصلحوا ذات بينكم، فإن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة**» (١).

وقد قال ﷺ: «**ليس بكذاب من أصلح بين اثنين، فقال خيرا، أو نمى خيرا**»(٢).

وهذا يدل على وجوب الإصلاح بين الناس، لأن ترك الكذب واجب، ولا يسقط الواجب، إلا بواجب آكد منه.

قال ﷺ: «**كل الكذب مكتوب، إلا أن يكذب الرجل في الحرب، فإن الحرب خدعة، أو يكذب بين اثنين ليصلح بينهما، أو يكذب لامرأته ليرضيها**» (٣).

=

وفيه عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، ضعفه الجمهور. المغني ١٩٩/٢.

(١) أخرجه الخرائطي، في مكارم الأخلاق، والحاكم، وقال صحيح الإسناد، وكذا أبو يعلى الموصلي خرجه بطوله، وضعفه البخاري وابن حبان المغني ١٩٩/٢.

(٢) الأصل: سقطت «أو نمى خيرا» والحديث رواه البخاري ١٦٦/٣، مسلم ٢٠١١/٤، أبو داود ٢٨١/٤.

(٣) رواه الترمذي ٣٣١/٤، وأبو داود ٢٨١/٤، وفيه انقطاع وضعف. انظر المغني ١٩٩٦/٢.

ستر العورات

ومنها: أن يستر عورات المسلمين كلهم. قال ﷺ: «**من ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة**»(١).

وقال ﷺ: «**لا يستر عبد عبدا إلا ستره الله يوم القيامة**» (٢).

وقال أبو سعيد الخدري: قال ﷺ: «**لا يرى المؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه، إلا دخل الجنة**»(٣).

وقال ﷺ لماعز لما أخبره:«**لو سترته بثوبك كان خيرا لك**»(٤).

فإذًا على المسلم أن يستر عورة نفسه، فحق إسلامه واجب عليه، كحق إسلام غيره.

قال أبو بكر ﷺ: لو وجدت شاربا لأحببت أن يستره الله، ولو وجدت سارقًا لأحببت أن يستره الله.

وروى أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يعس بالمدينة ذات ليلة، فرأى رجلا وامرأة على فاحشة، فلما أصبح قال للناس: أرأيتم لو أن إماما رأي رجلاً وامرأة على فاحشة، فأقام عليهما الحد، ما كنتم فاعلين؟ قالوا: إنما أنت إمام. فقال علي ﷺ: ليس ذلك لك، إذا يقام عليك الحد. إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهداء. ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم، ثم سألهم، فقال القوم: مثل مقالتهم الأولى. وقال علي: مثل مقالته.

وهذا يشير إلى أن عمر ﷺ كان مترددا في أن الوالي هل له أن يقضي بعلمه في

---

(١) رواه مسلم ١٩٩٦/٤، وأبو داود ٢٨٧/٤، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «من نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا، نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومن يسر على معسر يسر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومن ستر على مسلم ستر الله عليه في الدنيا والآخرة، والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»

(٢) رواه مسلم ١٩٩٦/٤.

(٣) رواه الطبراني، والخرائطي في مكارم الأخلاق، بسند ضعيف. المغني ٢٠٠/٢.

(٤) رواه أبو داود ١٣٤٠/٤.

حدود الله تعالى؟ فلذلك راجعهم في معرض الفتوى، لا في معرض الإخبار، خيفة من أن لا يكون له ذلك فيكون قاذقًا بإخباره ومال رأي علي رضي الله عنه إلى أنه ليس له ذلك.

وهذا من أعظم الأدلة، على طلب الشرع لستر الفواحش.

وإن أفحشها الزنا. وقد نيط بأربعة من العدول يشاهدون ذلك منه في ذلك منها، كالمردود في المكحلة. وهذا قط لا يتفق.

وإن علمه القاضي تحقيقا لم يكن له أن يكشف عنه. فانظر إلى الحكمة في حسم باب الفاحشة، بإيجاب الرجم الذي هو أعظم العقوبات. ثم انظر إلى كثيف ستر الله تعالى، كيف أسبله على العصاة من خلقه بتضييق الطريق في كشفه.

فنرجو أن لا نحرم هذا الكرم يوم تبلى السرائر.

وفي الحديث: «**أن الله تعالى إذا ستر على عبد عورته في الدنيا، فهو أكرم من أن يكشفها في الآخرة، وإن كشفها في الدنيا فهو أكرم من أن يكشفها مرة أخرى**» (١).

وعن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرجت مع عمر رضي الله عنه ليلة في المدينة فبينما نحن نمشي، إذ ظهر لنا سراج، فانطلقنا نؤمه فلما دنونا منه إذا باب مغلق على قوم لهم أصوات ولغط، فأخذ عمر بيدي، وقال: أتدري بيت من هذا؟ قلت: لا. فقال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خلف، وهم الآن شرب، فما ترى؟ قلت: أرى أنا قد أتينا ما نانا الله عنه، قال الله تعالى: **ولا تجسسوا** [الحجرات: ١٢]. فرجع عمر، وتركهم. وهذا يدل على وجوب الستر، وترك التتبع.

وقد قال صلى الله عليه وسلم لمعاوية: «**إنك إن اتبعت عورات الناس، أفسد م، أو كدت تفسدهم**» (٢).

(١) أخرجه الترمذي وابن ماجة والحاكم من حديث «من أذنب ذنبا فستره الله عليه وعفا عنه، فالله أكرم من أن يرجع في شيء قد عفا عنه، ومن أذنب ذنبا في الدنيا فعوقب عليه، فالله أعدل من أن يثني العقوبة على عبده»، ولمسلم من حديث أبي هريرة «لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره يوم القيامة» ٢٠٠٢/٤. انظر المغني ٢٠٠/٢.

(٢) رواه أبو داود ٢٧٢/٤.

وقال ﷺ: «**يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان في قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع عورة أخيه المسلم، يتبع الله عورته، ومن يتبع الله عورته يفضحه، ولو كان في جوف بيته**» (١).

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: لو رأيت أحدا على حد من حدود الله تعالى ما أخذته، ولا دعوت له أحدا، حتى يكون معي غيري.

وقال بعضهم: كنت قاعدا مع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه إذ جاءه رجل بآخر، فقال: هذا نشوان، فقال عبد الله بن مسعود: استنكهوه، فاستنكهوه، فوجدوه نشوانا، فحبسه حتى ذهب سكره، ثم دعا بسوط فكسر ثمرته، ثم قال للجلاد: أجلد وارفع يدك وأعط كل عضو حقه. فجلده وعليه قباء أو مرط، فلما فرغ، قال للذي جاء به: ما أنت منه؟ قال: عمه. قال عبد الله: ما أدبت فأحسنت الأدب، ولا سترت الحرمة!. إنه ينبغي للإمام إذا انتهى إليه حد، أن يقيمه، إن الله عفو يحب العفو. ثم قرأ: **وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا** [النور: ٢٤] ثم قال: إني لأذكر أول رجل قطعه النبي ﷺ أتي بسارق فقطعه، فكأنما أسف وجهه. فقالوا: يا رسول الله، كأنك كرهت قطعه؟ قال: «**وما يمنعني! لا تكونوا عونا للشيطان على أخيكم**» فقالوا: ألا عفوت عنه؟ فقال: «**إنه ينبغي للسلطان إذا انتهى إليه حد أن يقيمه، إن الله عفو يحب العفو. وقرأ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**» (٢).

وفي رواية فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد لشدة تغيره.

وروي أن عمر رضي الله عنه كان يعس بالمدينة من الليل، فسمع صوت رجل في بيت يتغنى، فتسور عليه، فوجد عنده امرأة، وعنده خمر. فقال: يا عدو الله، أظننت أن الله تعالى يسترك، وأنت على معصيته؟

فقال: وأنت يا أمير المؤمنين، فلا تعجل، فإن كنت قد عصيت الله واحدة،

---

(١) رواه الترمذي ٣٧٨/٤، وأبو داود ٢٧٠/٤.

(٢) والحديث رواه الحاكم والخرائطي في مكارم الأخلاق، بلفظ «فكأنما سفي في وجه رسول الله ﷺ رماد». المغني ٢٠١/٢.

فقد عصيت أنت الله ثلاث قال تعالى: **ولا تجسسوا** وقد تجسست. وقال تعالى: **وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها** وقد تسورت علي.

وقال تعالى: **لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا...** [النور: ٢٧]. وقد دخلت بيتي بغير إذن، ولا سلام. فقال عمر: هل عندك من خير، إن عفوت عنك؟ قال: نعم. والله يا أمير المؤمنين، لئن عفوت عني، لا أعود لمثلها أبدا. فعفا عنه وخرج وتركه.

وقال رجل لعبد الله بن عمر: يا أبا عبد الرحمن، كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعته يقول: «**إن الله ليدني منه المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره من الناس، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم يا رب. حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه قد هلك. قال له: يا عبدي إني لم أسترها عليك في الدنيا، إلا وأنا أريد أن أغفرها لك اليوم. فيعطى كتاب حسناته، وأما الكافرون والمنافقون فتقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين**» [هود: ١٨].

وقال ﷺ: «**كل أمتي معافى إلا المجاهرين**» (١) وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل سوء، ثم يخبر به.

وقال ﷺ: «**من استمع خبر قوم، وهم له كارهون صب في أذنيه الآنك يوم القيامة**» (٢).

اتقاء مواضع التهم

ومنها: أن يتقي مواضع التهم، صيانة لقلوب الناس، عن سوء الظن، ولألسنتهم عن الغيبة. فإنهم إذا عصوا الله بذكره، وكان هو السبب فيه، كان شريكا. قال الله تعالى: **ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم** [الأنعام: ١٠٨].

---

(١) رواه البخاري ٨٩/٧، ومسلم ٢٢٩١/٤.

(٢) رواه البخاري من حديث ابن عباس مرفوعا، وموقوفا عليه، بلوغ المرام ص ٧٧، وروى أبو داود نحوه، ٣٠٦/٤.

وقال ﷺ: «**كيف ترون من يسب أبويه؟ فقالوا: وهل من أحد يسب أبويه؟ قال: نعم يسب أبوي غيره، فيسبون أبويه**»(١).

وقد روى عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كلم إحدى نسائه، فمر به رجل، فدعاه رسول الله ﷺ فقال ﷺ: «**يا فلان هذه زوجتي صفية**» فقال يا رسول الله: من كنت أظن فيه، فإني لم أكن أظن فيك. فقال: «**إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم**»(٢).

وزاد في رواية: «**إني خشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا**»(٣) وكانا رجلين. فقال: «**على رسلكما إنها صفية... الحديث**». وكانت قد زارته في العشر الأواخر من رمضان.

وقال عمر رضى الله عنه: من أقام نفسه مقام التهم، فلا يلومن من أساء به الظن.

ومر برجل يكلم امرأة على ظهر الطريق فعلاه بالدرة، فقال: يا أمير المؤمنين إنها امرأتي. فقال فهلا حيث لا يراك الناس.

الشفاعة

ومنها: أن يشفع لكل من له حاجة من المسلمين، إلى من له عنده منـزلة، ويسعى في قضاء حاجته بما يقدر عليه.

قال رسول الله ﷺ: «**أوتى وأسأل، وتطلب إلي الحاجة، وأنتم عندي، فاشفعوا لتؤجروا، ويقضي الله على يدي نبيه ما أحب**»(٤) وقال رسول الله ﷺ: «**اشفعوا إلي لتؤجروا، إني أريد الأمـر، فأأخره كـي تشفعـوا إلى فتؤجروا**»(٥).

قال ﷺ: «**ما من صدقة أفضل من صدقة اللسان، قيل: وكيف ذلك؟ قال:**

(١) البخاري ٦٩/٧، مسلم ٩٢/١.
(٢) رواه مسلم ١٧١٢/٤.
(٣) رواه مسلم ١٧١٢/٤.
(٤) البخاري ٨٠/٧، مسلم ٢٠٢٦/٤.
(٥) رواه أبو داود رقم ٥١٣٣.

الشفاعة يحقن بها الدم، وتجر بها المنفعة، إلى آخر، ويدفع بها المكروه عن آخر»[١].

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن زوج بريرة، كان عبدا يقال له: مغيث، كأني انظر إليه خلفها يبكي، ودموعه تسيل على لحيته، فقال ﷺ للعباس: «**ألا تعجب من شدة حب مغيث لبريرة، وشدة بغضها له**»؟

فقال النبي ﷺ: «**لو راجعته فإنه أبو ولدك**» فقالت: يا رسول الله أتأمرني فأفعل. فقال: «**لا. إنما أنا شافع**» [٢].

السلام

ومنها: أن يبدأ كل مسلم منهم، بالسلام قبل الكلام، ويصافحه عند السلام قال ﷺ: «**من بدأ بالكلام قبل السلام، فلا تجيبوه، حتى يبدأ بالسلام**» [٣].

الاستئذان والسلام

وقال بعضهم: دخلت على رسول الله ﷺ ولم أسلم، ولم أستأذن فقال ﷺ: «**ارجع فقل السلام عليكم أأدخل**» [٤].

وروى جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا دخلتم بيوتكم فسلموا على أهلها فإن الشيطان إذا سلم أحدكم لم يدخل بيته**» [٥].

وقال أنس ﷺ: خدمت النبي ﷺ ثمان حجج، فقال لي: «**يا أنس أسبغ الوضوء، يزد في عمرك، وسلم على من لقيته من أمتي تكثر حسناتك، وإذا دخلت**

---

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق من حديث سمرة بن جندب وهو ضعيف. المغني ٢٠٢/٢.

(٢) رواه البخاري، التجريد الصريح ص١٢٥.

(٣) أخرجه الطبراني في الأوسط. وأبو نعيم من حديث ابن عمر بسند ضعيف. انظر منتخب كنـز العمال ٣٩٩/٣، وروى الترمذي عن جابر بسند ضعيف أيضا «السلام قبل الكلام، ولا تدعوا أحدا إلى الطعام حتى يسلم» ٥٩/٥.

(٤) الحديث رواه الترمذي ٦٥/٥. وأبو داود ٣٤٤/٤.

(٥) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وفيه ضعف. المغني ٢٠٢/٢.

منـزلك، فسلم على أهل بيتك يكثر خير بيتك»[١] .

وقال أنس ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «**إذا التقى المؤمنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة، تسعة وستون لأحسنهما بشرا**» [٢].

وقال تعالى: **وإذَا حييتم بِتحِيةٍ فَحيوا بِأَحْسن مِنْها أَوْ ردوها** [النساء: ٨٦] .

وقال ﷺ: «**والذي نفسي بيده، لا تدخلون الجنة، حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على عمل إذا عملتموه، تحاببتم؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: أفشوا السلام بينكم**» [٣].

وقال ﷺ: «**إذا سلم المسلم على المسلم فرد عليه، صلت عليه الملائكة سبعين مرة**» [٤].

وقال ﷺ: «**إن الملائكة تعجب من المسلم، يمر على المسلم، ولا يسـلم عليه**»[٥].

وقال ﷺ: «**يسلم الراكب على الماشي وإذا سلم من القوم واحد أجزأ عنهم**» [٦].

وقال قتادة: كانت تحية من قبلكم السجود. فأعطى الله -عز وجل- هذه الأمة السلام، وهي تحية أهل الجنة.

---

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الشعب، وإسناده ضعيف، المغني ٢٠٢/٢. وروى الترمذي «إذا دخلت على أهل بيتك، فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك» ٥٩/٥، اللآلئ المصنوعة ٣٨٢/٢.

(٢) أخرجه الخرائطي بسند ضعيف، وسيأتي تخريجه.

(٣) رواه مسلم ٧٤/١، والترمذي ٥٢/٥، وأبو داود ٣٥٠/٤.

(٤) ذكره صاحب الفردوس من حديث أبي هريرة، ولم يسنده ولده في المسند. المغني ٢٠٣/٢.

(٥) قال العراقي لم أقف له على أصل ٢/ ٢٠٣.

(٦) رواه أبو داود ٣٥٤/٤ من حديث على: «يجزئ من الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «يسلم الراكب على الماشي» البخاري ١٢٧/٧، مسلم ١٧٠٣/٤.

وكان أبو مسلم الخولاني، يمر على قوم، فلا يسلم عليهم، ويقول: ما يمنعني إلا أني أخشى أن لا يردوا فتلعنهم الملائكة.

والمصافحة أيضا سنة مع السلام، وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: «**السلام عليكم، قال -عليه السلام-: عشرة حسنات. فجاء آخر، وقال: السلام عليكم ورحمة الله، فقال عشرون، فجاء آخر، وقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فقال: ثلاثون**» (١).

وكان أنس ﷺ يمر على الصبيان، فيسلم عليهم.

ويروى عن رسول الله ﷺ أنه فعل ذلك.

وروى عبد الحميد بن بهرام، أنه ﷺ: «**مر في المسجد يوما وعصبة من النساء قعود، فأومأ بيده بالسلام**» (٢).

وقال ﷺ: «**لا تبدؤوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق، فاضطروه إلى أضيقه**» (٣).

وعن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ: «**لا تصافحوا أهل الذمة، ولا تبدؤوهم بالسلام، فإذا لقيتموهم في الطريق فاضطروهم إلى أضيق الطريق**»(٤).

وقالت عائشة رضي الله عنها: إن رهطا من اليهود دخلوا على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك. فقال النبي ﷺ: «**وعليكم**». فقلت: بل عليكم السام واللعنة. فقال ﷺ: «**يا عائشة: إن الله تعالى يحب الرفق في كل شيء قالت عائشة ألم تسمع ما قالوا؟ قال: قد قلت وعليكم**» (٥).

وقال ﷺ: «**يسلم الراكب على الماشي والماشي على القاعد، والقليل على**

---

(١) رواه أبو داود ٣٥٠/٤، والترمذي ٥٣/٥، وقال: حسن غريب.

(٢) الحديث رواه الترمذي من رواية عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد ٥٨/٥، وابن ماجة ١٢٢٠/٢.

(٣) رواه مسلم ١٧٠٧/٤، وأبو داود ٣٥٢/٤. الترمذي ٦٠/٥.

(٤) رواه أبو داود ٣٥٢/٤ دون قوله «لا تصافحوا أهل الذمة» وكذا الترمذي ٦٠/٥. ومسلم ١٧٠٧/٤.

(٥) البخاري ١٣٣/٧، مسلم ١٧٠٦/٤.

الكثير، والصغير على الكبير» [١].

وقال ﷺ: «**لا تشبهوا باليهود والنصارى، فإن تسليم اليهود بالإشارة بالأصابع وتسليم النصارى بالإشارة بالأكف**»[٢]. قال أبو عيسى: إسناده ضعيف.

وقال ﷺ: «**إذا انتهى أحدكم إلى مجلس، فليسلم، فإن بدا له أن يجلس، فليجلس. ثم إذا قام فليسلم، فليست الأولى بأحق من الأخيرة**» [٣].

وقال أنس رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: «**إذا التقى المؤمنان فتصافحا، قسمت بينهما سبعون مغفرة، وتسعة وستون لأكثرهما بشرا**»[٤] .

وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إذا التقى المسلمان وسلم كل واحد منهما على صاحبه، وتصافحا نـزلت بينهما مائة رحمة للبادئ تسعون وللمصافح عشر**»[٥].

وقال الحسن: المصافحة تزيد في الود.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**تمام تحياتكم بينكم المصافحة**»[٦] .

---

(١) البخاري ١٢٧/٧، مسلم ١٧٠٣/٤.

(٢) رواه الترمذي بإسناد ضعيف ٥٦/٥.

(٣) رواه أبو داود ٣٥٣/٤، والترمذي ٦٢/٥.

(٤) أخرجه الخرائطي بسند ضعيف. المغني ٢٠٤/٢، وأخرجه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة «مائة رحمة تسعة وتسعون لأبشهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مسالمة لأخيه.. وفيه الحسن بن كثير مجهول، ومحمد بن عبد الله الأشنائي وهو وضاع انظر الفوائد المجموعة ص٢٢٧.

(٥) رواه البيهقي عن عمر مرفوعا، وفيه عمر بن عامر، وهو النمار، وفي الميزان، واللسان عمر ابن عامر أبو حفص السعدي النمار، بصري روى عنه أبو قلابة، ومحمد بن مرزوق حديثا باطلا. قال الشوكاني: فعمر هذا مجهول، يروي المنكرات، فهو ساقط، انظر الفوائد المجموعة ص ٢٢٧، منتخب كنـز العمال ٣٩٨/٣.

(٦) رواه الترمذي وضعفه، ٩٦/٥.

التقبيل

وقال ﷺ: «**قبلة المسلم أخاه المصافحة**» (١).

ولا بأس بقبلة يد المعظم في الدين تبركًا به، وتوقيرا له.

روى عن ابن عمر رضي الله عنه قال: قبلنا يد رسول الله ﷺ.

وعن كعب بن مالك، قال لما نـزلت توبتي أتيت النبي ﷺ فقبلت يده.

وروي أن أعرابيا قال: يا رسول الله، أتأذن لي فأقبل رأسك ويدك؟ قال: فأذن له ففعل.

ولقي أبو عبيدة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصافحه، وقبل يده، وتنحيا يبكيان.

وعن البراء بن عازب، أنه سلم على رسول الله ﷺ وهو يتوضأ، فلم يرد عليه حتى فرغ من وضوئه، فرد عليه ومد يده إليه فصافحه. فقال: يا رسول الله، ما كنت أرى هذا إلا من أخلاق الأعاجم. فقال رسول الله ﷺ: «**إن المُسْلِمَيْن إذا التقيا فتصافحا، تحاتت ذنوبهما**»(٢).

وعن النبي ﷺ أنه قال: «**إذا مر الرجل بالقوم، فسلم عليهم، فردوا عليه كان له عليهم فضل درجة، لأنه ذكرهم بالسلام، وإن لم يردوا عليه، رد عليه ملأ خير منهم، وأطيب**». أو قال: «**وأفضل**» (٣).

الانحناء عند السلام

والانحناء عند السلام منهي عنه، قال أنس رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله، أينحني بعضنا لبعض؟ قال: لا. قال: فيقبل بعضنا بعضا؟ قال: لا. قال: فيصافح بعضنا بعضا؟ قال: نعم(٤).

---

(١) أخرجه الخرائطي وابن عدي من حديث أنس، وقال غير محفوظ، انظر المغني ٢٠٤/٢، منتخب كنـز العمال ٤٠٣/٣.

(٢) رواه الترمذي، وقال: حسن غريب ٧٤/٥، وأبو داود ٣٥٤/٤.

(٣) أخرجه الخرائطي والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود، مرفوعا، وضعفه. منتخب كنـز العمال ٣٩٨/٣.

(٤) أخرجه الترمذي ٧٥/٥، ابن ماجة ١٢٢٠/٢.

الالتزام والتقبيل

والالتزام والتقبيل، قد ورد به الخبر، عند القدوم من السفر.

وقال أبو ذر ﷺ: ما لقيت رسول الله ﷺ إلا وصافحني، وطلبني يوما، فلم أكن في البيت، فلما أخبرت جئت، وهو على سرير، فالتزمني، فكانت أجود وأجود.

والأخذ بالركاب في توقير العلماء، ورد به الأثر، فعل ابن عباس ذلك بركاب زيد بن ثابت.

وأخذ عمر بعضد زيد بن ثابت حتى رفعه، وقال: هكذا افعلوا بزيد وأصحابه[١].

القيام

والقيام مكروه على سبيل الإعظام، لا على سبيل الإكرام.

قال أنس ﷺ: ما كان شخص أحب إلينا من رسول الله ﷺ وكانوا إذا رأوه، لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك.

وروي عنه ﷺ أنه قال مرة: «**إذا رأيتموني فلا تقوموا كما يصنع الأعاجم**»[٢].

وقال ﷺ: «**من سره أن يتمثل له الرجال قياما، فليتبوأ مقعده من النار**»[٣].

وقال ﷺ: «**لا يقيم الرجل الرجل من مجلسه،** ثم يجلس فيه، **ولكن توسعوا وتفسحوا**» [٤] وكانوا يحترزون عن ذلك لهذا النهي.

وقال ﷺ: «**إذا أخذ القوم مجالسهم، فإن دعا أحد أخاه، فأوسع له فليأته، فإنما هي كرامة أكرمه بها أخوه، فإن** لم **يوسع له فلينظر** إلى **أوسع مكان** يجده، **فيجلس فيه**» [٥].

---

(١) أخرجه الطبراني، والحاكم، والبيهقي. المغني ٥٠/١.

(٢) رواه الترمذي ٩١/٥، وأبو داود ٣٥٨/٤.

(٣) رواه أبو داود من حديث أبي أمامة ٣٥٨/٤ .

(٤) رواه البخاري ١٣٨/٧، ومسلم ١٧١٤/٤.

(٥) أخرجه البغوي في معجم الصحابة. ورواه الطبراني في الكبير.

رد السلام

وروي أنه سلم رجل على رسول الله ﷺ وهو يبول، فلم يجب.

فيكره السلام على من يقضي حاجته.

ويكره أن يقول ابتداء عليك السلام، فإنه قاله رجل لرسول الله ﷺ فقال -عليه السلام-: «**إن عليك السلام، تحية الموتى**» قاله ثلاثا. ثم قال:«**إذا لقي أحدكم أخاه، فليقل السلام عليكم ورحمة الله**»(١).

ويستحب للداخل إذا سلم، ولم يجد مجلسا، أن لا ينصرف، بل يقعد وراء الصف.

وكان رسول الله ﷺ جالسا في المسجد، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ، فأما أحدهما: فوجد فرجة فجلس فيها.

وأما الثاني: فجلس خلفهم.

وأما الثالث: فأدبر ذاهبا، فلما فرغ رسول الله ﷺ،قال: «**ألا أخبركم عن النفر الثلاثة؟**

أما أحدهم: فآوى إلى الله، فأواه الله.

وأما الثاني: فاستحيا فاستحيا الله منه.

وأما الثالث: فأعرض فأعرض الله عنه(٢).

قال ﷺ: «**ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان، إلا غفر الله لهما قبل أن يفترقا**» (٣).

وسلمت أم هانئ على رسول الله ﷺ فقال: «**من هذه؟ فقيل له: أم هانئ.**

---

(١) رواه الترمذي ٧٢/٥، وأبو داود ٣٥٣/٤.

(٢) البخاري ٢٤/١، مسلم ١٣/٤.

(٣) رواه الترمذي ٧٤/٥، وأبو داود ٣٥٤/٤.

فقال رسول الله ﷺ: مرحبا بأم هانئ»[١].

الذب عن عرض أخيه

ومنها: أن يصون عرض أخيه المسلم، ونفسه وماله، عن ظلم غيره، مهما قدر، ويرد عنه، ويناضل دونه وينصره. فإن ذلك يجب عليه بمقتضى أخوة الإسلام.

روى أبو الدرداء رضى الله عنه أن رجلا نال من رجل عند رسول الله ﷺ فرد عنه رجل. فقال النبي ﷺ:«**من رد عن عرض أخيه كان له حجابا من النار**» [٢].

وقال ﷺ:«**ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة**» [٣].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**من ذكر عنده أخوه المسلم، وهو يستطيع نصره، فلم ينصره، أذله الله -عز وجل- بها** في **الدنيا والآخرة، ومن ذكر عنده أخوه المسلم، فنصره، نصره الله تعالى** في **الدنيا والآخرة**»[٤].

وقال ﷺ: «**من حمى عرض أخيه المسلم** في **الدنيا بعث الله تعالى له ملكا يحميه يوم القيامة من النار**»[٥].

وقال جابر وأبو طلحة: سمعنا رسول الله ﷺ يقول: «**ما من امرئ مسلم ينصر مسلما** في **موضع ينتهك فيه من عرضه، وتستحل حرمته، إلا نصره الله -عز وجل-** في **موطن، يحب فيه نصره. وما من امرئ خذل مسلما** في **موطن تنتهك فيه حرمته، إلا خذله الله** في **موضع يحب فيه نصرته**»[٦].

تشميت العاطس

---

(١) رواه مسلم ٤٩٨/١، والترمذي ٧٨/٥.

(٢) رواه الترمذي ٣٧٦/٤.

(٣) أخرجه أحمد والخرائطي في مكارم الأخلاق، وفيه شهر بن حوشب المغني ٢٠٦/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في الصمت، وإسناده ضعيف المغني ٢٠٦/٢.

(٥) أخرجه أبو داود من حديث معاذ بن أنس ٢٧١/٤.

(٦) رواه أبو داود مع تقديم وتأخير بلفظه، واختلف في إسناده ٢٧١/٤.

ومنها: تشميت العاطس، قال رسول اللهﷺ في العاطس: «**يقول: الحمد لله على كل حال، ويقول الذي يشمته: يرحمكم الله، ويرد عليه العاطس، فيقول: يهديكم الله، ويصلح بالكم**»[١].

وشمت رسولﷺ عاطساً، ولم يشمت آخر، فسأله عن ذلك، فقال له: «**إنه حمد الله، وأنت سكت**»[٢].

وعن ابن مسعود ؓ قال: كان رسول اللهﷺ يعلمنا، يقول: «**إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله رب العالمين. فإذا قال ذلك فليقل من عنده: يرحمك الله. فإذا قالوا ذلك، فليقل: يغفر الله لي ولكم**»[٣].

وقال ﷺ: «**يشمت العاطس المسلم إذا عطس ثلاثاً، فإن زاد فهو زكام**»[٤].

وروي عنهﷺ أنه شمت عاطساً ثلاثاً، فعطس أخرى. فقال: «**إنك مزكوم**»[٥].

وقال أبو هريرة ؓ: كان رسول اللهﷺ إذا عطس غض صوته، واستتر بثوبه، أو يده. وروي خمر وجهه[٦].

وقال أبو موسى الأشعري[٧] ؓ: كان اليهود يتعاطسون عند رسول اللهﷺ رجاءً أن يقول: يرحمكم الله، فكان يقول: يهديكم الله[٨].

وروى عبد الله بن عامر بن ربيعة عن أبيه، أن رجلاً عطس خلف النبي ﷺ،

---

(١) رواه البخاري ١٢٥/٧، وأبو داود ٣٠٨/٤. ولم يقل البخاري على كل حال.

(٢) رواه البخاري ١٢٤/٧، ومسلم ٢٢٩٢/٤.

(٣) رواه أبو داود ٣٠٧/٤، والترمذي ٨٢/٥، وقال حديث اختلفوا في روايته.

(٤) رواه أبو داود بلفظ «شمت أخاك ثلاثاً...» ٣٠٨/٤، والترمذي٨٤/٥، وابن ماجة ١٢٢٣/٢.

(٥) رواه مسلم ٢٢٩٣/٤.

(٦) رواه أبو داود ٣٠٧/٤. والترمذي ٨٦/٥.

(٧) هو عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري الصحابي الجليل المشهور هاجر ثلاث هجرات، استعمله النبيﷺ على زبيد وعدن وساحل اليمن، واستعمله عمر بن الخطاب ؓ على الكوفة والبصرة. توفي سنة ٥٠هـ. تذكرة الحفاظ رقم ١٠، الإصابة رقم ٤٨٩٩.

(٨) رواه أبو داود ٣٠٨/٤، والترمذي ٥/ ٨٢.

فقال: الحمد لله، حمداً كثيراً، طيباً مباركاً فيه كما يرضى ربنا ويرضى، والحمد لله على كل حال، فلما سلم النبي ﷺ قال: «**من صاحب الكلمات؟**» فقال: أنا يا رسول الله، وما أردت بهن، إلا خيراً. فقال: «**لقد رأيت اثني عشر ملكاً يبتدرو ا أيهم يكتبها**»[1].

وقالﷺ: «**من عطس عنده، فسبق إلى الحمد لم يشتك خاصرته**» [2].

وقالﷺ: «**العطاس من الله، والتثاؤب من الشيطان. فإذا تثاءب أحدكم، فليضع يده على فيه، فإذا قال: هاها، فإن الشيطان يضحك من جوفه**» [3].

وقال إبراهيم النخعي: إذا عطس أحدكم على قضاء الحاجة، فلا بأس بأن يذكر الله.

وقال الحسن: يحمد الله في نفسه.

وقال كعب: قال موسى: «**يا رب أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ فقال: أنا جليس من ذكرني. فقال: فأنا نكون على حالٍ نجلّك أن نذكرك عليها، كالجنابة والغائط. فقال: اذكرني على كل حال**».

المداراة

ومنها: أنه إذا بلي بذي شر، فينبغي أن يجامله ويتقيه.

قال بعضهم: خالص المؤمن مخالصة، وخالق الفاجر مخالقة، فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر. وقال أبو الدرداء: إنا لنبش في وجوه أقوام، وإن قلوبنا لتلعنهم.

وهذا معنى المداراة، وهي مع من يخاف شره، قال الله تعالى: ﴿**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**﴾ [فصلت: ٣٤].

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث عبد الله بن عامر. منتخب كنـز العمال ٤١٣/٣.

(٢) أخرجه الطبراني مرفوعاً في الأوسط، وفي الدعاء من حديث علي بسند ضعيف، وفي رجاله من اتهم، وقد روي الخبر في موضوعات أبي الهيثم. انظر الفوائد المجموعة ص ٢٢٣.

(٣) رواه البخاري ١٢٥/٧،مسلم ٢٢٩٣/٤، عن أبي هريرة دون قوله العطاس من الله. واللفظ للترمذي ٨٦/٥.

وقال ابن عباس في معنى قوله تعالى: **ويدْرءُونَ ِبالْحسنةِ السيئَةَ** [الرعد: ٢٢] أي: الفحش والأذى بالسلام والمداراة. وقال في قوله تعالى: **ولَوْلا دفْع اللهِ الناس بْعضهم ِببْعْضٍ لهدمتْ صوامِع وبِيعٌ وصلَواتٌ** [الحج: ٤٠] قال بالرغبة والرهبة والحياء والمداراة.

وقالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على رسول ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «**ائذنوا له، فبئس رجل العشيرة هو.** فلما دخل ألان له القول، حتى ظننت أن له عنده منـزلة. فلما خرج،قلت له: لما دخل، قلت الذي قلت. ثم ألنت له القول. فقال: «**يا عائشة إن شر الناس منـزلة عند الله يوم القيامة، من تركه الناس اتقاء فحشه**»(١).

وفي الخبر: «**ما وقى الرجل به عرضه فهو له صدقة**» (٢).

وفي الأثر: خالطوا الناس بأعمالهم، وزايلوهم بالقلوب.

وقال محمد بن الحنفية(٣): ليس بحكيم من لم يعاشر بالمعروف، من لا يجد من معاشرته بداً، حتى يجعل الله له منه فرجاً.

مخالطة الأغنياء

ومنها: أن يتجنب مخالطة الأغنياء، ويختلط بالمساكين، ويحسن إلى الأيتام، كان ﷺ يقول: «**اللهم أحيني مسكيناً، وأمتني مسكيناً، واحشرني في زمرة المساكين**» (٤).

---

(١) البخاري ١٠٢/٧، مسلم٢٠٠٢/٤.

(٢) أخرجه أبو يعلى وابن عدي من حديث جابر وضعفه المغني ٢٠٧/٢.

(٣) هو محمد بن علي بن أبي طالب أبو القاسم الهاشمي، والحنفية: هي خولة بنت جعفر بن قيس من بني حنيفة، أخرج له أصحاب الكتب الستة، كان ثقة صالحاً، ينسب إلى أمه تمييزاً له عن الحسن والحسين، حيث أمهما فاطمة الزهراء، كان أوسع العلم شجاعاً قويا. تهذيب التهذيب ٣٥٤/٩، وفيات الأعيان ٣١٠/٣، ميزان الاعتدال٦٥٧/٣، طبقات ابن سعد ٦٦/٥.

(٤) رواه الترمذي٥٧٦/٤، من حديث أنس بسند ضعيف.

وقال كعب الأحبار[١]: كان سليمان -عليه السلام- في ملكه إذ دخل المسجد، فرأى مسكيناً جلس إليه، وقال: مسكين جالس مسكيناً. وقيل: ما كان من كلمة تقال لعيسى -عليه السلام-، أحب إليه من أن يقال له يا مسكين.

وقال كعب الأحبار: ما في القرآن من **يا أيها الذين آمنوا** فهو في التوراة «يا أيها المساكين.

وقال عبادة بن الصامت[٢] رضي الله عنه: إن للنار سبعة أبواب، ثلاثة للأغنياء، وثلاثة للنساء، وباب للفقراء والمساكين.

وقال الفضيل[٣]: بلغني أن نبياً من الأنبياء، قال: يا رب كيف لي أن أعلم رضاك عني؟ قال: «**انظر كيف رضاء المساكين عنك**».

وقال ﷺ: «**إياكم ومجالسة الموتى قيل: ومن الموتى يا رسول الله؟ قال: الأغنياء**» [٤].

وقال موسى: «**إلهي أين أبغيك؟ قال: عند المنكسرة قلوبهم**».

وقال ﷺ: «**لا تغبطن فاجراً بنعمة، فإنك لا تدري ما يصير بعد الموت، فإن من ورائه طالباً حثيثاً**» [٥].

---

(١) كعب الأحبار المتوفى سنة ٣٥هـ. انظر ترجمته في شذرات الذهب، ٤٠/١، طبقات الشعراني ٤٥/١.

(٢) هو عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، صحابي موصوف بالورع وحسن السيرة، وكان أحد النقباء شهد بدراً وسائر المشاهد مات بفلسطين سنة ٣٤هـ. الاستيعاب ٢/ ٤٤٩، الإصابة ٢/ ٢٦٨، طبقات ابن خياط ص ٩٩، طبقات ابن سعد ٣/ ٥٤٦.

(٣) الفضيل بن عياض.

(٤) رواه الترمذي بإسناد ضعيف، والحاكم من حديث عائشة «**إياك ومجالسة الأغنياء**». المغني ٢٠٧/٢.

ورواه ابن عدي مرفوعاً بلفظ «إن سرك اللحوق بي فلا تخالطي الأغنياء، ولا تستبدلي ثوباً حتى ترقعيه» وفي إسناده صالح بن حسان وهو متروك. انظر الفوائد المجموعة ص ٢٣٩.

(٥) رواه البخاري في التاريخ والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب عن أبي هريرة بسند ضعيف. المغني ٢٠٨/٢.

الإحسان إلى اليتيم

وأما اليتيم؟ فقد قالﷺ: «**من ضم يتيماً من أبوين مسلمين، حتى يستغني فقد وجبت له الجنة البتة**» [١].

وقال ﷺ: «**أنا وكافل اليتيم كهاتين في الجنة**» [٢] وهو يشير بإصبعيه.

وقال ﷺ: «**من وضع يده على رأس يتيم ترحماً، كانت له بكل شعرة تمر يده عليها حسنة**» [٣].

وقال -عليه السلام-: «**خير بيت من المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت من المسلمين، بيت فيه يتيم يساء إليه**» [٤].

النصح

ومنها: النصيحة لكل مسلم[٥]، والجهد في إدخال السرور على قلبه.

حب الإخوان

قال ﷺ: «**المؤمن يحب للمؤمن كما يحب لنفسه**» [٦].

---

(١) الحديث أخرجه أحمد والطبراني من حديث مالك بن عمر وفيه علي بن زيد بن جدعان متكلم فيه. المغني ٢/ ٢٠٨.

(٢) رواه البخاري ٧٦/٧، مسلم ٢٢٨٧/٤.

(٣) أخرجه أحمد والطبراني بإسناد ضعيف. المغني ٢٠٨/٢.

(٤) رواه ابن ماجة ١٢١٣/٢، وفي الزوائد: في إسناده يحيى بن سليمان، أبو صالح. قال فيه البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث، وذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج ابن خزيمة حديثه في صحيحه، وقال: في النفس من هذا الحديث شيء، فإني لا أعرف يحيى بعدالة ولا جرح، وإنما خرجت خبره، لأنه يختلف العلماء فيه. فقلت: قد ظهر للبخاري وأبي حاتم، ما خفي على ابن خزيمة، فجرحهما مقدم على من عدله. سنن ابن ماجة ١٢١٣/٣.

(٥) روى البخاري عن جرير بن عبد الله، قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والنصح لكل مسلم» ٢٠/١.

(٦) قال العراقي لم أره ـذا اللفظ، المغني ٢٠٨/٢.

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**» (١).

وقال ﷺ: «**إن أحدكم مرآة أخيه، فإذا رأى فيه شيئاً فليمطه عنه**» (٢).

وقال ﷺ: «**من قضى حاجة لأخيه، فكأنما خدم الله عمره**» (٣).

وقال ﷺ: «**من أقر عين مؤمن أقر الله عينه يوم القيامة**».

وقال ﷺ: «**من مشى في حاجة أخيه ساعة من ليل أو ار، قضاها، أو لم يقضها، كان خيراً له من اعتكاف شهرين**» (٤).

وقال -عليه السلام-: «**من فرج عن مغموم أو أعان مظلوماً غفر الله له ثلاثاً وسبعين مغفرة**» (٥).

نصرة الأخ

وقال -عليه السلام-: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً. فقيل: كيف ينصره ظالماً؟ قال: يمنعه من الظلم**» (٦).

وقال ﷺ: «**إن من أحب الأعمال إلى الله إدخال السرور على قلب المؤمن، أو أن يفرج عنه غماً، أو يقضي عنه ديناً، أو يطعمه من جوع**» (٧).

وقال ﷺ: «**من حمى مؤمناً من منافق يعنته، بعث الله إليه ملكاً يحمي لحمه يوم**

---

(١) رواه البخاري ٩/١، ومسلم ٦٧/١.

(٢) رواه أبو داود ٢٨٠/٤، الترمذي ٣٢٦/٤.

(٣) أخرجه البخاري في التاريخ والطبراني والخرائطي في مكارم الأخلاق عن أنس بسند ضعيف مرسل. المغني ٢٠٨/٢.

(٤) أخرجه الحاكم عن ابن عباس «لأن يمش أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته-وأشار بإصبعه- أفضل من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين» وللطبراني في الأوسط «من مشى في حاجة أخيه، كان خيراً من اعتكافه عشر سنين» وكلاهما ضعيف. المغني ٢٠٨/٢، الفوائد ا موعة ص ٨٣.

(٥) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن حبان في الضعفاء. المغني ٢٠٨/٢.

(٦) مسلم ١٩٩٨/٤. ورواه البخاري وأحمد والترمذي، دليل الفالحين ٢٢/٢.

(٧) أخرجه الطبراني بسند ضعيف. المغني ٢٠٨/٢.

القيامة من نار جهنم» [(١)].

وقال -عليه السلام-: «**خصلتان ليس فوقهما شيء من الشرك بالله والضر لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما شيء من البر، الإيمان بالله، والنفع لعباد الله**» [(٢)].

الاهتمام بأمر المسلمين

وقالﷺ: «**من لم يهتم للمسلمين فليس منهم**» [(٣)].

وقال معروف الكرخي[(٤)]: من قال كل يوم اللهم ارحم أمة محمد كتبه الله من الأبدال.

وفي رواية أخرى: اللهم أصلح أمة محمد، اللهم فرج عن أمة محمد، اللهم ارحم أمة محمد. كل يوم ثلاث مرات، كتبه الله في الأبدال[(٥)].

وبكي علي بن الفضيل[(٦)] يوماً، فقيل له ما يبكيك؟ فقال: أبكي على من ظلمني، إذا وقف غداً بين يدي الله تعالى، وسئل عن ظلمه، ولم يكن له حجة.

عيادة المريض

ومنها: أن يعود مرضاهم، والمعرفة والإسلام كافيان في إثبات هذا الحق ونيل فضله.

وأدب العائد خفة الجلسة، وقلة السؤال، وإظهار الرقة، والدعاء بالعافية، وغض البصر عن عورات الموضع. وعند الاستئذان لا يقابل الباب، ويدق برفق، ولا

---

(١) لم أجده.

(٢) قال العراقي ذكره صاحب الفردوس من حديث علي ولم يسنده ولده في مسنده. المغني ٢٠٨/٢.

(٣) أخرجه الحاكم من حديث حذيفة والطبراني عن أبي ذر وكلاهما ضعيف. المغني ٢٠٨/٢.

(٤) للاطلاع على ترجمة معروف الكرخي انظر طبقات الشعراني ٧٢/١، نتائج الأفكار٧٩/١.

(٥) البدلاء: هم سبعة، ومن سافر من القوم عن موضعه، وترك جسداً على صورته، حتى لا يعرف أحد أنه فقد فذلك هو البدل، لا غير، وهم على قلب إبراهيم -عليه السلام-. التعريفات ص ٢٣٥.

(٦) هو علي بن الفضيل، الزاهد. المتوفى سنة ١٨٣هـ. البداية والنهاية ١٨٣/١٠.

يقول: أنا. إذا قيل له: من ؟ ولا يقول: يا غلام. لكن يحمد ويسبح، ويسلم.

وقال ﷺ: «**تمام عيادة المريض أن يضع يده على جبهته، أو على يده ويسأله كيف هو؟ وتمام تحياتكم المصافحة**».(١)

وقال ﷺ: «**من عاد مريضاً قعد في مخارف الجنة، حتى إذا قام وكل به سبعون ألف ملك يصلون عليه حتى الليل**» (٢).

وقال -عليه السلام-: «**إذا عاد الرجل المريض خاض في الرحمة، فإذا قعد عنده قرت فيه**»(٣).

وقال ﷺ: «**إذا عاد المسلم أخاه، أو زاره، قال الله تعالى: طبت وطاب ممشاك، وتبوأت منـزلاً في الجنة**»(٤).

وقال -عليه السلام-: «**إذا مرض العبد بعث الله إليه ملكين، فقال: انظر ماذا يقول لعواده؟ فإن هو إذا جاؤوه حمد الله وأثنى عليه، رفعا ذلك إلى الله تعالى، وهو أعلم. فيقول: لعبدي علي إن توفيته أن أدخله الجنة، وإن أنا شفيته أن أبدل له لحماً خيراً من لحمه ودماً خيراً من دمه، وإن أكفر عنه سيئاته**» (٥).

وقال ﷺ:«**من يرد الله به خيرا يصب منه**» (٦).

---

(١) رواه أحمد والترمذي. منتخب كنـز العمال ٣٩٣/٣.

(٢) أخرجه أصحاب السنن من حديث علي بلفظ «من أتى أخاه المسلم عائدا مشي في خرافة الجنة، حتى يجلس، فإذا جلس غمرته الرحمة، فإن كان غدوة صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يمسي، وإن كان مساء صلى عليه سبعون ألف ملك حتى يصبح». ابن ماجة ٤٦٣/١، الترمذي ٢٩٩/٣.

ولمسلم من حديث ثوبان «من عاد مريضاً لم يزل في خرفة الجنة». ١٩٨٩/٤.

(٣) رواه الحاكم والبيهقي. المغني ٢٠٩/٢، منتخب كنـز العمال ٣٩٦/٣.

(٤) رواه ابن ماجة ٤٦٤/١، والترمذي ٣٦٥/٤، وفيه عيسى بن سنان ضعفه الجمهور.

(٥) رواه مالك في الموطأ مرسلاً. قال ابن الجوزي: لا يصح فيه عبد الله بن سعيد متروك. وتعقبه السيوطي فذكر الحديث، وشواهد أخرى بألفاظ متقاربة. انظر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ٣٩٦/٢.

(٦) رواه البخاري عن أبي هريرة ٣/٧.

الدعاء للمريض

وقال عثمان ﷺ: مرضت فعادني رسول الله ﷺ، فقال «**بسم الله الرحمن الرحيم أعيذك بالله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد من شر ما تجد. قالها مرارا**» [(١)].

ودخل -عليه السلام- على علي ﷺ وهو مريض فقال له: «**قل اللهم إني أسألك تعجيل عافيتك، أو صبرا على بليتك، أو خروجا من الدنيا إلى رحمتك، فإنك ستعطى إحداهن**» [(٢)].

ويستحب للعليل أيضا، أن يقول: أعوذ بعزة الله وقدرته، من شر ما أجد وأحاذر.

وقال علي ﷺ: إذا شكا أحدكم بطنه فليسأل امرأته شيئا من صداقها، ويشتري به عسلا، ويشربه بماء السماء فيجتمع له الهنيء والمريء والشفاء، والمبارك.

وقال ﷺ: «**يا أبا هريرة ألا أخبرك بأمر هو حق، من تكلم به في أول مضجعه من مرضه، نجاه الله من النار؟ قلت: بلى يا رسول الله. قال: يقول لا إله إلا الله، يحيي ويميت وهو حي لا يموت، سبحان الله رب العباد والبلاد، والحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه على كل حال، الله أكبر كبيرا، إن كبرياء ربنا وجلاله وقدرته بكل مكان، اللهم إن أنت أمرضتني لتقبض روحي في مرضي هذا، فاجعل روحي في أرواح من سبقت لهم منك الحسنى وباعدني من النار كما باعدت أولياءك الذين سبقت لهم منك الحسنى**»[(٣)].

---

(١) رواه الطبراني والبيهقي في الأدعية. المغني ٢٠٩/٢.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض عن أنس بسند ضعيف، المغني ٢٠٩/٢، منتخب كنـز العمال ٣٩٥/٣.

(٣) أخرجه ابن أبي الدنيا في الدعاء، وفي المرض والكفارات. المغني ٢١٠/٢، منتخب كنـز العمال ٣٩٣/٣.

وروي أنه قال -عليه السلام-: «**عيادة المريض بعد ثلاث فواق ناقة**» [1].

وقال طاووس: أفضل العيادة أخفها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: عيادة المريض مرة سنة، فما ازداد فنافلة.

وقال بعضهم: عيادة المريض بعد ثلاث.

وقال ﷺ: «**أغبوا في العيادة وأربعوا فيها**»[2].

وجملة آداب المريض، حسن البصر، وقلة الشكوى والضجر والفزع إلى الدعاء، والتوكل بعد الدواء على خالق الدواء.

تشييع الجنائز

ومنها: أن يشيع جنائزهم.

قال ﷺ: «**من شيع جنازة فله قيراط من الأجر، فإن وقف حتى تدفن،فله قيراطان. وفي الخبر القيراط مثل جبل أحد**» [3].

ولما روى أبو هريرة هذا الحديث، وسمعه ابن عمر قال: لقد فرطنا إلى الآن في قراريط كثيرة.

والقصد من التشييع، قضاء حق المسلمين والاعتبار.

وكان مكحول الدمشقي، إذا رأى جنازة، قال: اغدوا، فإنا رائحون، موعظة بليغة وغفله سريعة، يذهب الأول، والآخر لا عقل له.

وخرج مالك بن دينار خلف جنازة أخيه، وهو يبكي، ويقول: والله ما تقر عيني حتى أعلم إلى ما صرت، ولا والله أعلمه ما دمت حيا.

وقال الأعمش: كنا نشهد الجنائز، فلا ندري لمن نعزي لحزن القوم كلهم.

---

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المرض عن أنس بإسناد مجهول، المغني ٢/٢١٠.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا بإسناد ضعيف، المغني ٢/٢١٠ منتخب كنـز العمال ٣/٣٩٣.

(٣) رواه البخاري ١/ ١٧، ومسلم ٢/٦٥٤.

ونظر إبراهيم الزيات إلى قوم يترحمون على ميت، فقال: لو ترحمون على أنفسكم لكان أولى، إنه نجا من أهوال ثلاثة: وجه ملك الموت، قد رأى. ومرارة الموت، قد ذاق. وخوف الخاتمة، قد أمن.

وقال ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة، فيرجع اثنان، ويبقى واحد، يتبعه أهله، وماله وعمله. فيرجع أهله، وماله، ويبقى عمله**»[(١)].

---

(١) رواه مسلم عن أنس ٢٢٧٣/٤، والترمذي ٥٩٠/٤.

زيارة القبور

ومنها: أن يزور قبورهم. والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار، وترقيق القلب. قال ﷺ:«**ما رأيت منظرا إلا والقبر أفظع منه**» (١)

وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فأتى المقابر فجلس إلى قبر، وكنت أدنى القوم منه، فبكى وبكينا. فقال: «**ما يبكيكم؟ قلنا: بكينا لبكائك. قال: هذا قبر آمنة بنت وهب استأذنت ربي في زيارتها، فأذن لي واستأذنته في أن استغفر لها فأبى علي، فأدركني ما يدرك الولد من الرقة**» (٢).

وكان عثمان رضي الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى تبتل لحيته، ويقول: سمعت رسول الله ﷺ قال: «**إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه،فما بعده أيسر منه. وإن لم ينج منه، فما بعده أشد**».

وقال مجاهد: أول ما يكلم ابن آدم حفرته، فتقول: أنا بيت الدود، وبيت الوحدة، وبيت الغربة، وبيت الظلمة، فهذا ما أعددت لك، فما أعددت لي؟ وقال أبو ذر: ألا أخبركم بيوم فقري، يوم أوضع في قبري.

وكان أبو الدرداء كثيرا ما يقعد إلى القبور، فقيل له في ذلك فقال: أجلس إلى قوم يذكرونني معادي، وإن قمت عنهم لم يغتابوني.

وقال حاتم الأصم: من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه، ولم يدع لهم، فقد خان نفسه،وخانهم.

وقال -عليه السلام-: «**ما من ليلة إلا وينادي منادٍ، يا أهل القبور، من**

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب ٥٥٤/٤. وابن ماجة بلفظ «كان عثمان بن عفان إذا وقف على قبر، يبكي حتى يبل لحيته، فقيل له، تذكر الجنة والنار ولا تبكي. وتبكي من هذا؟ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه، فما بعده أيسر منه. وإن لم ينج منه، فما بعده أشد منه» قال: قال رسول الله ﷺ «ما رأيت منظرا قط إلا والقبر أفظع منه» ١٤٢٦/٢.

(٢) رواه مسلم ٦٧١/٢، وابن ماجة ٥٠١/١ مختصرا، وزاد «فزوروا القبور، فإنا تذكركم الموت».

تغبطون؟ فيقولون: نغبط أهل المساجد، لأ م يصلون، ولا نصلي، ويصومون ولا نصوم، ويذكرون الله ولا نذكره» (١).

وقال سفيان: من أكثر ذكر القبر، وجده روضة من رياض الجنة، ومن غفل عن ذكره، وجده حفرة من حفر النار.

وكان الربيع بن خيثم، وقد حفر في داره قبرا، فكان إذا وجد في قلبه قسوة دخل فيه واضطجع، ومكث ساعة، ثم قال: رب ارجعون لعلي أعمل صالحا، ثم يقول: يا ربيع قد رجعت، فاعمل الآن، قبل أن لا ترجع.

وقال ميمون بن مهران: خرجت مع عمر بن عبد العزيز إلى المقبرة فلما نظر إلى القبور بكى.

وقال: يا ميمون هذه قبور آبائي بني أمية، كأنم لم يشاركوا أهل الدنيا في لذا م، أما تراهم صرعي، وقد حلت م المثلات، وأصابت الهوام من أبدانم، ثم بكى. وقال: والله ما أعلم أحدا أنعم ممن صار إلى هذه القبور، وقد أمن عذاب الله.

أدب المعزي والمشيع

وأدب المعزي: خفض الجناح، وإظهار الحزن، وقلة الحديث، وترك التبسم.

وأدب تشييع الجنازة، لزوم الخشوع وترك الحديث، وملاحظة الميت والتفكر في الموت، والاستعداد له، وأن يمشي أمام الجنازة بقر ا.

والإسراع بالجنازة سنة. فهذه جملة آداب، تنبه على آداب المعاشرة، مع عموم الخلق.

جملة الأدب

والجملة الجامعة في ذلك، أن لا تستصغر منهم أحدا حيا كان، أو ميتا، فتهلك، فإنك لا تدري لعله خير منك. فإنه وإن كان فاسقا فلعله يختم لك بمثل حاله ويختم له بالصلاح.

---

(١) قال العراقي: لم أجد له أصلا، وقال في الفوائد: لم يوجد. انظر المغني٢١١/٢، الفوائد ا موعة ص٢٥.

ولا تنظر إليهم بعين التعظيم لهم في حال دنياهم، فإن الدنيا عند الله تعالى، صغير ما فيها، ومهما عظم أهل الدنيا في نفسك، فقد عظمت الدنيا فتسقط في عين الله تعالى.

ولا تبذل لهم دينك لتنال من دنياهم، فتصغر في أعينهم، ثم تحرم دنياهم، فإن لم تحرم كنت قد استبدلت الذي هو أدنى بالذي هو خير.

ولا تعادهم بحيث تظهر العداوة، فيطول الأمر عليك في المعاداة، ويذهب دينك ودنياك فيهم ويذهب دينهم فيك، إلا إذا رأيت منكرا في الدين فتعادي أفعالهم القبيحة، وتنظر إليهم بعين الرحمة لهم، لتعرضهم لمقت الله وعقوبته بعصيانهم، فحسبهم جهنم يصلونها. فمالك تحقد عليهم؟ ولا تسكن إليهم في مودتهم لك، وثنائهم عليك في وجهك، وحسن بشرهم لك، فإنك إن طلبت حقيقة ذلك لم تجد في المئة إلا واحدا، وربما لا تجده.

ولا تشك إليهم أحوالك فيكلك الله إليهم، ولا تطمع أن يكونوا لك في الغيب والسر كما في العلانية، فذلك طمع كاذب وأنى تظفر به، ولا تطمع فيما في أيديهم فتستعجل الذل، ولا تنال الغرض.

ولا تعلُ عليهم تكبرا لاستغنائك عنهم، فإن الله يلجئك إليهم عقوبة على التكبر بإظهار الاستغناء، وإذا سألت أخا منهم حاجة، فقضاها فهو أخ مستفاد، وإن لم يقض، فلا تعاقبه، فيصير عدوا تطول عليك مقاساته.

ولا تشتغل بوعظ من لا ترى فيه مخايل القبول،فلا يسمع منك، ويعاديك. وليكن وعظك عارضا،واسترسالا من غير تنصيص على الشخص، ومهما رأيت منهم كرامة وخيرا، فاشكر الله تعالى الذي سخرهم لك، واستعذ بالله أن يكلك إليهم.

وإذا بلغك عنهم غيبة، أو رأيت منهم شرا، أو أصابك منهم ما يسوؤك، فكل أمرهم إلى الله، واستعذ بالله من شرهم.

ولا تشغل نفسك بالمكافأة، فيزيد الضرر، ويضيع العمر بذلك.

ولا تقل لهم لم تعرفوا موضعي. واعتقد أنك لو استحققت ذلك لجعل الله لك موضعا في قلوبهم، فالله المحبب والمبغض إلى القلوب؟

وكن فيهم سميعا لحقهم، أصم عن باطلهم، نطوقا بحقهم، صموتا عن باطلهم.

واحذر صحبة أكثر الناس. فإنهم لا يقيلون عثرة، ولا يغفرون زلة، ولا يسترون عورة، ويحاسبون على النقير والقطمير، ويحسدون على القليل والكثير، وينتصفون ولا ينصفون، ويؤاخذون على الخطأ والنسيان ولا يعفون، ويغرون الإخوان على الإخوان بالنميمة والبهتان، فصحبة أكثرهم خسران وقطيعتهم رجحان.

إن رضوا فظاهرهم الملق، وإن سخطوا فباطنهم الحنق، لا يؤمنون في حنقهم، ولا يرجون في ملقهم. ظاهرهم ثياب، وباطنهم ذئاب. ويقطعون بالظنون ويتغامزون وراءك بالعيون، ويتربصون بصديقهم من الحسد ريب المنون، يحصون عليك العثرات في صحبتهم ليواجهوك بها في غضبهم ووحشتهم.

ولا تعول على مودة من لم تخبره حق الخبرة، بأن تصحبه مدة في دار أو موضع واحد، فتجربه في عزله وولايته وغناه، وفقره أو تسافر معه أو تعامله في الدينار والدرهم. أو تقع في شدة فتحتاج إليه، فإن رضيته في هذه الأحوال، فاتخذه أبا لك إن كان كبيرا أو ابنا إن كان صغيرا، أو أخا إن كان مثلا لك.

فهذه جملة آداب المعاشرة مع أصناف الخلق.

حقوق الجوار

اعلم أن الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه أخوة الإسلام، فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة، إذ قال النبي ﷺ: «**الجيران ثلاثة: جار له حق واحد، وجار له حقان، وجار له ثلاثة حقوق. فالجار الذي له ثلاثة حقوق، الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجوار، وحق الإسلام، وحق الرحم، وأما الذي له حقان فالجار المسلم له حق الإسلام، وحق الجوار، أما الذي له حق واحد، فالجار المشرك**»[١].

(١) أخرجه البزار وأبو نعيم من حديث جابر وابن عدي، وكلاهما ضعيف، منتخب كنز العمال ٣٨٢/٣. تذكرة الموضوعات ص٢٠٣. وضعفه الشوكاني. انظر الفوائد المجموعة ص ٢٥٨.

فانظر كيف أثبت للمشرك حقا بمجرد الجوار.

وقد قال ﷺ: «**أحسن مجاورة من جاورك تكن مسلما**»(١).

وقال -عليه السلام-: «**مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه**»

وقال ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره**»(٢).

وقال ﷺ: «**لا يؤمن عبد حتى يأمن جاره بوائقه**»(٣).

وقال ﷺ: «**أول خصمين يوم القيامة جاران**» (٤).

وقال ﷺ: «**إذا أنت رميت كلب جارك فقد آذيته**» (٥)

ويروى أن رجلا جاء إلى ابن مسعود، فقال له: إن لي جارا يؤذيني ويشتمني، ويضيق علي، فقال: اذهب، فإن هو عصى الله فيك، فأطع الله فيه.

وقيل لرسول الله ﷺ: إن فلانة تصوم النهار، وتقوم الليل، وتؤذي جيرانا، فقال ﷺ: «**لا خير فيها هي في النار**» (٦).

وجاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكو جاره، فقال ﷺ: «**اصبر، ثم قال له في الثالثة أو الرابعة: اطرح متاعك في الطريق**» قال: فجعل الناس يمرون به ويقولون مالك؟ فيقال: آذاه جاره. قال: فجعلوا يقولون: لعنة الله، فجاء جاره فقال له: رد متاعك فوالله لا أعود(٧).

وروى الزهري أن رجلا أتى النبي ﷺ فجعل يشكو جاره فأمره النبي ﷺ أن ينادي على باب المسجد «**ألا إن أربعين دارا جار**» (٨). قال الزهري: أربعون هكذا،

---

(١) رواه البخاري ٧/٧٨، مسلم ٤/٢٠٢٥.

(٢) البخاري ٧/٧٩، مسلم ١/٦٨.

(٣) البخاري ٧/٧٨.

(٤) أخرجه أحمد والطبراني عن عقبة بن عامر بسند ضعيف. منتخب كنـز العمال ٣/٣٨٠.

(٥) قال العراقي: لم أجد له أصلا. المغني ٢/٢١٢.

(٦) رواه أحمد والحاكم. منتخب كنـز العمال ٣/٣٨٢.

(٧) رواه أبو داود ٤/٣٣٩.

(٨) أخرجه أبو داود في المراسيل وأبو يعلى، وكلاهما ضعيف منتخب. كنـز العمال٣/٣٨٠، المغني ٢/٢١٣.

وأربعون هكذا، وأربعون هكذا، وأربعون هكذا، وأومأ إلى أربع جهات.

وقال ﷺ: «**اليمن والشؤم** في **المرأة والمسكن والفرس**» [1] فَيمن المرأة: خفة مهرها، ويسر نكاحها، وحسن خلقها. وشؤمها: غلاء مهرها، وعسر نكاحها، وسوء خلقها.

ويمن المسكن سعته، وحسن جوار أهله، وشؤمه: ضيقه، وسوء جوار أهله ويمن الفرس: ذله، وحسن خلقه وشؤمه صعوبته وسوء خلقه.

وأعلم أنه ليس حق الجوار كف الأذى فقط، بل احتمال الأذى، فإن الجار أيضا قد كف أذاه، فليس في ذلك قضاء حق، فلا يكفي احتمال الأذى، بل لا بد من الرفق، وإسداء الخير والمعروف. إذ يقال: إن الجار الفقير يتعلق بجاره الغني يوم القيامة، ويقول: يا رب سل هذا لم منعني معروفه، وسد بابه دوني؟

وبلغ ابن المقفع أن جارا له يبيع داره في دين ركبه، وكان يجلس في ظل داره، فقال ما قمت إذن بحرمة ظل داره، إن باعها معدما، فدفع إليه ثمن الدار، وقال: لا تبعها.

وشكا بعضهم كثرة الفأر في داره، فقيل له: لو اقتنيت هراً؟ فقال: أخشى أن يسمع الفأر صوت الهر، فيهرب إلى دور الجيران، فأكون قد أحببت لهم، ما لا أحبه لنفسي.

جملة حق الجوار

وجملة حق الجوار: أن يبدأه بالسلام، ولا يطيل معه الكلام، و لا يكثر عن حاله السؤال، و يعوده في المرض، و يعزيه في المصيبة و يقوم معه في العزاء، أو يهنئه في الفرح و يظهر له الشركة في السرور معه، ويصفح عن زلاته، ولا يتطلع من السطح إلى عوراته، ولا يضايقه في وضع الجذع على جداره، ولا في مصب الماء من ميزابه، ولا في طرح التراب في فنائه، ولا يضيق طريقه إلى الدار، ولا يتبعه النظر، فيما يحمله إلى داره، ويستر ما ينكشف له من عوراته وينعشه من صرعته إذا نابته

---

(١) رواه مسلم ١٧٤٨/٤، والترمذي ١٢٦/٥.

نائبة، ولا يغفل عن ملاحظة داره عند غيبته، ولا يتسمع عليه كلاما، ويغض بصره عن حرمه، ولا يديم النظر إلى خادمته، ويتلطف بولده في كلمته، ويرشده إلى ما يجهله من أمر دينه ودنياه، هذا مضافا إلى جملة الحقوق التي ذكرناها لعامة المسلمين.

وقد قال صلى الله عليه و سلم: «**أتدرون ما حق الجار؟ إن استعان بك أعنته، وإن استنصرك نصرته، وإن استقرضك أقرضته**»(١).

وإن افتقر جدت عليه، وإن مرض عدته، وإن مات تبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستعل عليه بالبناء، فتحجب عنه الريح، إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة، فاهد منها له، فإن لم تفعل فأدخلها سرا، ولا يخرج ا ولدك، ليغيظ ا ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك، إلا أن تغرف له منها.

ثم قال -عليه السلام-: «**أتدرون ما حق الجار؟ والذي نفسي بيده، لا يبلغ حق الجار إلا من رحمه الله**». هكذا رواه عمرو بن شعيب(٢)، عن أبيه عن جده عنه ﷺ.

قال مجاهد: كنت عند عبد الله بن عمر، وغلام له يسلخ شاه، فقال: يا غلام، إذا سلخت فأبدأ بجارنا اليهودي. حتى قال ذلك مراراً. فقال له: كم تقول هذا؟ «فقال إن رسول الله ﷺ لم يزل يوصينا بالجار حتى خشينا أنه سيورثه». (٣)

وقال هشام: كان الحسن لا يرى بأساً أن تطعم الجار اليهودي والنصراني من أضحيتك.

وقال أبو ذر: أوصاني خليلي -عليه السلام-، وقال: «**إذا طبخت قدراً فأكثر ماءها،** ثم **انظر بعض أهل بيت من جيرانك، فاغرف** لهم **منها**»(٤).

---

(١) أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف، المغني ٢١٤/٢، منتخب كنـز العمال٣٨١/٣.

(٢) عمر بن شعيب بن عبد الله من صغار التابعين صدوق، روى له أصحاب السنن توفي سنة ١١٨هـ دليل الفالحين ٢/ ١٣١.

(٣) رواه أبو داود ٣٣٩/٤، والترمذي ٣٣٣/٤، وقال: حسن غريب.

(٤) رواه مسلم ٢٠٢٥/٤.

و قالت عائشة رضي الله عنها: قلت: يا رسول الله إن لي جارين أحدهما مقبل ببابه، و الآخر ناء ببابه عني، وربما كان الذي عندي لا يسعهما، فأيهما أعظم حقاً؟ قال: «**المقبل عليك ببابه**»(١).

ورأى الصديق ولده عبد الرحمن(٢)، وهو يناصي جاراً له، فقال له: لا تناص جارك، فإن هذا يبقى والناس يذهبون.

وقال الحسن بن عيسى النيسابوري(٣): سألت عبد الله بن المبارك، فقلت: الرجل المجاور يأتيني فيشكو غلامي، أنه أتى إليه أمراً والغلام ينكره، فأكره أن أضربه، ولعله برئ، وأكره أن ادعه فيجد علي جاري، فكيف أصنع؟ قال: إن غلامك لعله أن يحدث حدثاً يستوجب فيه الأدب، فاحفظه عليه. فإذا شكاه جارك، فأدبه على ذلك الحدث، فتكون قد أرضيت جارك، وأدبته على ذلك الحدث. وهذا تلطف في الجمع بين الحقين.

وقالت عائشة رضي الله عنها: خلال المكارم عشرة، تكون في الرجل، ولا تكون في ابنه، وتكون في العبد، ولا تكون في سيده، يقسمها الله تعالى لمن أحب، صدق الحديث، وصدق الناس، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء.

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**يا معشر المسلمات، لا تحقرن جارة لجارتها، ولو فرسن شاة**» (٤).

وقال -عليه السلام-: «**إن من سعادة المرء المسلم، المسكن الواسع، والجار الصالح، والمركب الهنيء**» (٥).

---

(١) رواه البخاري ٧٩/٧.

(٢) عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق المتوفى سنة ٥٣هـ.

(٣) الحسن بن عيسى النيسابوري أسلم على يد ابن المبارك، كان ثقة ورعاً توفي سنة ٢٤٠هـ شذرات الذهب ٩٤/٢.

(٤) رواه البخاري ٣٨٠/٣.

(٥) رواه أحمد من حديث نافع. المغني ٢١٤/٢.

وقال عبد الله: قال رجل: يا رسول الله، كيف لي أن أعلم إذا أحسنت أو أسأت؟ قال: «**إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت، فقد أحسنت، و إذا سمعتهم يقولون: قد أسأت، فقد أسأت**» [١].

وقال جابر: قال رسول الله ﷺ:

«**من كان له جار في حائط، أو شريك، فلا يبعه حتى يعرضه عليه**»[٢].

وكان أبو هريرة: قضى رسول الله ﷺ، أن الجار يضع جذعه في حائط جاره شاء أم أبى[٣].

وقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: «**لا يمنعن أحدكم جاره أن يضع خشبة في حائطه**».

وقال أبو هريرة يقول: مالي أراكم عنها معرضين، والله لأرمينها بين أكتافكم. وقد ذهب بعض العلماء إلى وجوب ذلك.

وقال -عليه السلام-: «**من أراد الله به خيراً عسله. قيل: وما عسله؟ قال: يحببه إلى جيرانه**»[٤].

حقوق الأقارب والرحم

قال ﷺ: يقول الله تعالى: «**أنا الرحمن وهذه الرحم شققت لها اسماً من اسمي، فمن وصلها وصلته، ومن قطعها بتته**»[٥].

---

(١) رواه ابن ماجة ١٤١٢/٢.

(٢) رواه ابن ماجة بلفظ «من كانت له أرض فأراد أن يبيعها، فليعرضها على جاره» ٨٣٣/٢. وقال في الزوائد: صحيح ورجاله ثقات. ولفظ المصنف رواه الخرائطي. المغني ٢١٤/٢.

(٣) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، وهو متفق عليه بلفظ «لا يمنعن أحدكم جاره أن يغرز خشبة في حائطه» منتخب كنـز العمال ٣٧٨/٣، المغني ٢١٤/٢.

(٤) رواه أحمد من حديث أبي عتبة الخولاني، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق، والبيهقي في الزهد، وقال البيهقي: «يفتح له عملاً صالحاً قبل مودة، حتى يرضى عنه من حوله». المغني ٢١٥/٢.

(٥) رواه البخاري ٧٢/٧ ومسلم ١٩٨١/٤.

وقال -عليه السلام-: «**من سره أن ينسأ له في أثره، ويوسع عليه في رزقه، فليصل رحمه**» (١).

وفي رواية أخرى: «**من سره أن يمد له في عمره، ويوسع له في رزقه، فليتق الله، وليصل رحمه**».

وقيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: «**أتقاهم لله،وأوصلهم لرحمه، وآمرهم بالمعروف، وأ اهم عن المنكر**» (٢).

وقال أبو ذر: أوصاني خليلي -عليه السلام-، بصلة الرحم، وإن أدبر، وأمرني أن أقول الحق، وإن كان مراً.

وقال -عليه السلام-: «**إن الرحم معلقة بالعرش، وليس الواصل بالمكافئ، ولكن الواصل الذي إذا انقطعت رحمه، وصلها**»(٣).

وقال -عليه السلام-: «**إن أعجل الطاعة ثواباً، صلة الرحم، حتى إن أهل البيت ليكونون فجاراً فتنمو أموالهم، ويكثر عددهم إذا وصلوا أرحامهم**».(٤)

وقال زيد بن أسلم (٥): لما خرج رسول الله ﷺ إلى مكة، عرض له رجل، فقال: إن كنت تريد النساء البيض، والنوق الأدم، فعليك ببني مدلج.

فقال ﷺ: «**إن الله منـع مـني بني مدلـج، بصلتهم الرحم**» (٦).

وقالت أسماء بنت أبي بكر الصديق(٧): قدمت علي أمي، فقلت: يا رسول الله

---

(١) رواه البخاري ٧٢/٧، ومسلم ١٩٨٢/٤.

(٢) رواه أحمد والطبراني. المغني ٢١٥/٢.

(٣) رواه مسلم ١٩٨١/٤، والبخاري دون قوله «الرحم معلقة بالعرش» ٧٣/٧.

(٤) أخرجه ابن حبان، والخرائطي والبيهقي بسند ضعيف. المغني ٢١٥/٢.

(٥) هو زيد بن أسلم العدوي أبو أسامة المدني، كانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ. كان عالماً ثقة، عالماً بالتفسير، كثير الحديث، أخرج له أصحاب الكتب الستة، توفي سنة ١٣٦هـ. طبقات ابن خياط ص ٢٦٣، ذيب التهذيب ٣٩٥/٣.

(٦) رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق مرسلاً. المغني٢١٥/٢.

(٧) هي أم عبد الله بن الزبير، يقال لها: ذات النطاقين، توفيت سنة ٧٣هـ. البداية والنهاية ٣٤٦/٨. طبقات ابن سعد ٢٢٩/١.

إن أمي قدمت علي، وهي مشركة، أفأصلها؟ قال: نعم [١].

وفي رواية: أفأعطيها؟ قال: نعم، صليها.

وقال -عليه السلام-: «**الصدقة على المساكين صدقة، وعلى ذي الرحم اثنتان**»[٢] (صدقة وصلة).

ولما أراد أبو طلحة أن يتصدق بحائط له، كان يعجبه عملاً بقوله تعالى: **لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون** [آل عمران: ٩٢] قال: يا رسول الله هو في سبيل الله، وللفقراء والمساكين. فقال -عليه السلام-: «**وجب أجرك على الله، فأقسمه في أقاربك**».

وقال -عليه السلام-: «**أفضل الصدقة على ذي الرحم الكاشح**»[٣]. وهو معنى قوله -عليه السلام-: «**أفضل الفضائل، أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتصفح عمن ظلمك**»[٤].

وروي أن عمر رضي الله عنه كتب إلى عماله: مروا الأقارب أن يتزاوروا ولا يتجاوروا، وإنما قال ذلك، لأن التجاور يورث التزاحم على الحقوق. وربما يورث الوحشة، وقطيعة الرحم.

حقوق الوالدين والولد

لا يخفى أنه إذا تأكد حق القرابة والرحم، فأخص الأرحام، وأمسها الولادة، فيتضاعف تأكد الحق فيها.

وقد قال -عليه السلام-: «**بر الوالدين أفضل من الصلاة والصوم والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله**» [٥].

---

(١) رواه البخاري ٧١/٧، ومسلم ٦٩٦/٢.

(٢) رواه الترمذي ٤٦/٣، وابن ماجة ٥٨٧/١.

(٣) رواه أحمد والطبراني والبيهقي. المغني ٢١٦/٢.

(٤) أخرجه أحمد من حديث معاذ بسند ضعيف. المغني ٢١٦/٢.

(٥) الأصل: قدم حديث لن يجزي ولد. قال العراقي: لم أجده هكذا، وروى أبو يعلي والطبراني من حديث أنس «أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: إني اشتهي الجهاد ولا أقدر عليه، قال: =

وقال -عليه السلام-: «**من أصبح مرضياً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحداً فواحد، وإن ظلما، وإن ظلما، وإن ظلما.**

ومن أصبح مسخطاً لأبويه، أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، وإن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحداً، فواحد، وإن ظلما، وإن ظلما، وإن ظلما»(١).

وقال -عليه السلام-: «**لن يجزي ولـد والده، حتى يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه**»(٢).

فقال -عليه السلام-: «**إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها عاق، ولا قاطع رحم**» (٣).

وقال ﷺ: «**بر أمك وأباك وأختك وأخاك، ثم أدناك فأدناك**»(٤).

وروي أن الله تعالى قال لموسى -عليه السلام-: «**يا موسى إنه من بر والديه، وعقني، كتبته باراً، ومن برني وعق والديه كتبته عاقاً**».

وقيل: لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام، لم يقم له، فأوحى الله إليه **أتتعاظم أن تقوم لأبيك، وعزتي وجلالي لا أخرجت من صلبك نبيا.**

وقال -عليه السلام-: «**ما على أحد إذا أراد أن يتصدق بصدقة أن يجعلها لوالديه، إذا كانا مسلمين، فيكون لوالديه أجرهما، ويكون له مثل أجورهما، من**

=

هل بقي من والديك أحد؟ قال: أمي، قال: قابل الله في برها، فإذا فعلت فأنت حاج ومعتمر ومجاهد». المغني ٢١٦/٢.

(١) أخرجه البيهقي في الشعب من حديث ابن عباس. ولا يصح. المغني ٢١٦/٢.

(٢) رواه مسلم ١١٤٨/٢، وأبو داود ٣٣٤/٤، والترمذي ٣١٥/٤.

(٣) أخرجه الطبراني في الصغير عن أبي هريرة، دون ذكر القاطع، وهو في الأوسط، إلا أنه قال: «من مسيرة ألف عام» وإسنادهما ضعيف. المغني ٢١٦/٢ تذكرة الموضوعات ص ٢٠٢.

(٤) رواه الترمذي بلفظ «قال أمك ثم أمك ثم أمك، ثم أباك، ثم الأقرب فالأقرب»، ٣٠٩/٤ وابن ماجة٢/ ١٢٠٧، وفي الصحيحين بلفظ «أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك». البخـاري ٦٩/٧ ومسلم ١٩٧٤/٤.

غير أن ينقص من أجورهما شيء» [١].

وقال مالك بن ربيعة[٢]: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل من بني سلمة، فقال: يا رسول الله، هل بقي علي من بر أبوي شيء، أبرهما بـه بعد وفا ما؟ قال: «**نعم، الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما، وإكرام صديقهما، وصلة الرحم، التي لا توصل إلا بما**»[٣].

وقال -عليه السلام-: «**إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه، وبعد أن يولي الأب**».

وقال -عليه السلام-: «**بر الوالدة على الولد ضعفان**».

وقال -عليه السلام-: «**دعوة الوالدة أسرع إجابة، قيل: يا رسول الله ولم ذلك؟ قال: هي أرحم من الأب، ودعوة الرحم لا تسقط**».

وسأله رجل، فقال: يا رسول الله، من أبر؟ «**فقال: بر والديك. فقال: ليس لي والدان، فقال: بر ولدك، كما أن لوالديك عليك حقاً كذلك لولدك عليك حق**» [٤].

حقوق الولد

وقال ﷺ: «**رحم الله والداً أعان ولده على بره**»[٥] أي: لم يحمله على العقوق بسوء عمله.

وقال ﷺ: «**ساووا بين أولادكم في العطية**» [٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط بسند ضعيف دون قـوله: «إذا كانا مسلمين» المغني ٢١٦/٢.

(٢) هو مالك بن ربيعة أبو يزيد بن أبي مريم السلولي، صحابي. طبقات ابن سعد ٣٧/٦.

(٣) رواه أبو داود ٣٣٦/٤، وابن ماجة ١٢٠٨/٢.

(٤) أخرجه أبو عمر النوقاني في كتاب معاشرة الأهلين عن عثمان دون قوله: «فكما أن لوالديك» وهذه القطعة من حديث ابن عمر. انظر المغني ٢١٧/٢.

(٥) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب عن علي، وابن عمر بسند ضعيف. الفوائد ا موعة ص ٢٥٧، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٢.

(٦) رواه الطبراني، وابن عساكر، من حديث ابن عباس بزيادة «فلو كنت مفضلاً أحدا لفضلت =

وقد قيل: ولدك ريحانتك تشمها سبعاً وخادمك سبعاً، ثم هو عدوك أو شريكك.

وقال أنس: قال رسول الله ﷺ: «**الغلام يعق عنه يوم السابع، ويسم ويماط عنه الأذى، فإذا بلغ ست سنين أدب، فإذا بلغ تسع سنين عزل فراشه، فإذا بلغ ثلاث عشرة ضرب على الصلاة، فإذا بلغ ست عشرة سنة زوجه أبوه، ثم أخذ بيده. وقال قد أدبتك وعلمتك وأنكحتك، أعوذ بالله من فتنتك في الدنيا وعذابك في الآخرة**» [١].

وقال ﷺ: «**من حق الولـد على الوالد أن يحسن أدبـه، ويحسن اسمه**» [٢].

وقال -عليه السلام-: «**كل غلام رهين، أو رهينة بعقيقته، تذبح عنه يوم السابع و يحلق رأسه**»[٣].

وقال قتادة[٤]: إذا ذبحت العقيقة أخذت صوفة منها، فاستقبلت أوداجها، ثم توضع على يافوخ الصبى، حتى يسيل عنه مثل الخيط، ثم يغسل رأسه، ويحلق بعده.

وجاء رجل إلى عبد الله بن المبارك فشكا إليه بعض ولده، فقال: هل دعوت عليه؟ قال: نعم. قال: أنت أفسدته.

ويستحب الرفق بالولد.

رأى الأقرع بن حابس [٥]: النبي ﷺ، وهو يقبل ولده الحسن. فقال: لي عشرة

=

النساء» إتحاف السادة ٣١٧/٦.

(١) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الضحايا إلا أنه قال: «وأدبوه لسبع، وزوجوه لسبع عشرة، ولم يذكر الصوم» وفي إسناده مجهول. المغني ٢١٧/٢.

(٢) أخرجه البيهقي في الشعب، وهو ضعيف. المغني ٢/ ٢١٧.

(٣) الترمذي ١٠١/٤، أبو داود ٢٠٦/٣.

(٤) هو قتادة بن دعامة البصري التابعي، عنى بالعلم، فصار من حفاظ زمانه وعلمائهم بالقرآن والفقه توفي سنة ١١٧هـ. تهذيب الأسماء و اللغات ١-٥٥/٢، مشاهير علماء الأمصار ص ٧٠٢، طبقات ابن خياط ص ٢١٣، تذكرة الحفاظ رقم ١٠٧.

(٥) هو الأقرع بن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان التميمي المجاشعي، لقب بالأقرع، لقرع في رأسه، وهو الذي نادى من وراء الحجرات. البداية والنهاية ١٤١/٧.

من الولد، ما قبلت واحداً منهم، فقال -عليه السلام-: «**إن من لا يرحم لا يرحم**»[١].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: قال لي رسول الله ﷺ يوماً اغسلي وجه أسامة فجعلت أغسله، وأنا أنفة، فضرب يدي، ثم أخذه فغسل وجـهه، ثم قبـله، ثم قـال: «**قد أحسن الله بنا إذ** لم **يكن جارية**»[٢].

وتعثر الحسن وهو ﷺ على منبره فنـزل فحمله، وقرأ قوله تعالى: **إنما أموالُكُمْ وأوْلادكُمْ فِتْنةٌ** [التغابن: ١٥].

وقال عبد الله بن شداد[٣] بينما رسول الله ﷺ يصلي بالناس، إذ جاءه الحسن[٤] فركب عنقه وهو ساجد فأطال السجود بالناس، حتى ظنوا أنه قد حدث أمر! فقال: «**إن ابني قد ارتحلني، فكرهت أن أعجله، حتى يقضي حاجته**»[٥].

وفي ذلك فوائد: إحداها القرب من الله تعالى، فإن العبد أقرب ما يكون من الله تعالى إذا كان ساجداً، وفيه الرفق بالولد والبر، وتعليم لأمته.

وقد قال ﷺ: «**ريح الولد من ريح الجنة**» [٦].

وقال يزيد بن معاوية[٧]: أرسل أبي إلى الأحنف بن قيس، فلما وصل إليه، قال له: يا أبا بحر، ما تقول في الولد؟ فقال: يا أمير المؤمنين، ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا،

---

(١) رواه البخاري ٧/ ٧٥، مسلم ١٩٢/١.

(٢) قال العراقي لم أجده هكذا، و لأحمد من حديث عائشة، أن أسامة عثر بعتبة الباب، فدمى، فجعل النبي ﷺ يمصه ويقول: «**لو كان أسامة جارية لحليتها ولكسو ا حتى أنفقها**» المغني ٢١٨/٢.

(٣) هو عبد الله بن الهاد، كان من العباد الزاهدين والعلماء الأفاضل له وصايا وكلمات حسان، وقد روى عن الصحابة والتابعين توفي سنة ٨١هـ. البداية والنهاية ٣٧/٩، طبقات ابن سعد ٦١/٥.

(٤) الأصل: الحسين، وفي رواية النسائي«حسناً أو حسيناً» ٢٢٩/٢.

(٥) رواه النسائي ٢٣٠/٢.

(٦) أخرجه الطبراني في الصغير والأوسط، وابن حبان في الضعفاء وفيه مندل بن علي ضعيف. المغني ٢١٨/٢، قال في تذكرة الموضوعات: ضعيف ص ١٣١.

(٧) هو يزيد بن معاوية بن أبى سفيان الأموي، المتوفى سنة ٦٤هـ. البداية والنهاية ٢٢٦/٨.

ونحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، و م نصول على كل جليلة، فإن طلبوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، يمنحوك ودهم ويحبوك جهدهم، ولا تكن ثقلاً ثقيلاً، فيملوا حياتك ويودوا وفاتك، ويكرهوا قربك، فقال له معاوية: لله أنت يا أحنف، لقد دخلت علي وأنا مملوء غيظاً وغضباً على يزيد. فلما خرج الأحنف من عنده رضى عن يزيد، وبعث إليه بمائتي ألف درهم، ومائتي ثوب، فأرسل يزيد إلى الأحنف بمائة ألف درهم، ومائة ثوب. فقاسمه إياها على الشطر. فهذه هي الأخبار الدالة على تأكد حق الوالدين، وكيفية القيام بحقهما.

تعرف مما ذكرناه في حق الأخوة، فإن هذه الرابطة آكد من الأخوة، بل يزيدهما هاهنا أمران:

أحدهما: أن أكثر العلماء أجمع على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، وإن لم تجب في الحرام المحض، حتى إذا كانا يتنغصان بانفرادك عنهما بالطعام فعليك أن تأكل معهما، لأن ترك الشبهة ورع، ورضاء الوالدين حتم.

وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح، أو نافلة، إلا بإذنهما والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل، لأنه على التراخي.

والخروج لطلب العلم نفل، إلا إذا كنت تطلب علم الفرض من الصلاة والصوم، ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيها من يعلمه شرع الإسلام فعليه الهجرة، ولا يتقيد بحق الوالدين.

قال أبو سعيد الخدري: هاجر رجل إلى رسول الله ﷺ من اليمن وأراد الجهاد، فقال -عليه السلام-: «**هل باليمن أبواك؟ قال: نعم. قال: هل أذنا لك؟ قال: لا. فقال -عليه السلام-: فارجع إلى أبويك، فاستأذنهما، فإن فعلا فجاهد، وإلا فبرهما ما استطعت، فإن ذلك خير ما تلقى الله به بعد التوحيد**»(١).

وجاء آخر إليه ﷺ يستشيره في الغزو. فقال: «**ألك والدة؟ قال: نعم. قال: فالزمها فإن الجنة عند رجليها**» (٢).

---

(١) أخرجه أحمد وابن حبان دون قوله: «ما استطعت» المغني ٢/٢١٩.

(٢) النسائي ٦/١١، وابن ماجة ٢/٩٣٠.

وجاء آخر يطلب البيعة على الهجرة، وقال: ما جئتك حتى أبكيت والدي. فقال: «**ارجع إليهما فأضحكهما كما أبكيتهما**» (١).

وقـال ﷺ: «**حق كبير الأخوة على صغيرهم، كحق الوالد على ولده**»(٢).

وقال ﷺ: «**إذا استصعب على أحدكم دابته، أو ساء خلق زوجته أو أحد من أهل بيته، فليؤذن في أذنه**» (٣).

حقوق المملوك

اعلم أن ملك النكاح، قد سبقت حقوقه في آداب النكاح، وأما ملك اليمين، فهو أيضاً يقتضي حقوقاً في المعاشرة، لابد من مراعا ا، فقد كان من آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ، أن قال: «**اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم، أطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون فما أحببتم فأمسكوا وما كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله، فإن الله ملككم إياهم، ولو شاء لملكهم إياكم**» (٤).

وقال -عليه السلام-: «**للمملوك طعامه وكسوته بالمعروف، ولا يكلف من**

---

(١) النسائي ١٤٣/٧، وابن ماجة ٩٣٠/٢.

(٢) أخرجه أبو الشيخ ابن حبان في كتاب الثواب من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود، في المراسيل، وإسناده ضعيف. المغني ٢١٩/٢، الفوائد ا موعة ص ٢٥٨.

(٣) أخرجه الديلمي بسند ضعيف. المغني ٢١٩/٢. وقال في المختصر ضعيف. الفوائد ا موعة ص ١٣٥.

(٤) الحديث مفرق في عدة أحاديث، روى أبو داود ٣٤٠/٤، من حديث علي كان آخر كلام رسول الله ﷺ: «الصلاة الصلاة، اتقوا الله فيما ملكت أيمانكم». وفي الصحيحين من حديث أنس «كان آخر وصية رسول الله ﷺ حين حضره الموت «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم». ولهما من حديث أبي ذر «أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم» واللفظ لمسلم ١٢٨٣/٣، وفي رواية لأبي داود ٣٤١/٤ «من لاءمكم من مملوكيكم فأطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، ومن لا يلائمكم منهم فبيعوه ولا تعذبوا خلق الله تعالى». انظر الترمذي ٣٣٤/٤.

العمل ما لا يطيق»[١].

وقال ﷺ: «**لا يدخل الجنة خب، ولا متكبر، ولا خائن، ولا سيئ الملكة**» [٢].

وقال عبد الله بن عمر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله كم نعفو عن الخادم؟ فصمت عنه رسول الله ثم قال: «**أعف عنه كل يوم سبعين مرة**»[٣].

وكان عمر ﷺ، يذهب إلى العوالي كل يوم سبت، فإذا وجد عبداً في عمل لا يطيقه، وضع عنه منه.

ويروى عن أبي هريرة أنه رأى رجلاً على دابته وغلامه يسعى خلفه، فقال له: يا عبد الله احمله خلفك، فإنما هو أخوك، روحه مثل روحك، فحمله ثم قال: لا يزال العبد يزداد من الله بعداً ما مشي خلفه.

وقالت جارية لأبي الدرداء: إني سممتك منذ سنة فما عمل فيك شيئاً. فقال: لم فعلت ذلك؟ قالت: أردت الراحة منك. فقال: اذهبي، فأنت حرة لوجه الله.

قال الزهري: متى قلت للمملوك أخزاك الله فهو حر.

وقيل للأحنف بن قيس: ممن تعلمت الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم[٤] قيل: فما بلغ من حلمه؟ قال: بينما هو جالس في داره إذ أتته خادمة له بسفود عليه شواء، فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره فمات. فدهشت الجارية. فقال: لا يسكن روع هذه الجارية إلا العتق. فقال لها: أنت حرة، لا بأس عليك.

وكان عون بن عبد الله، إذا عصاه غلامه، قال: ما أشبهك بمولاك، مولاك يعصي مولاه، وأنت تعصى مولاك، فأغضبه يوماً، فقال: إنما تريد أن أضربك، اذهب فأنت حر.

وكان عند ميمون بن مهران، ضيف فاستعجل على جاريته بالعشاء، فجاءت

---

(١) رواه مسلم ١٢٨٤/٣.

(٢) رواه الترمذي ٣٣٤/٤.

(٣) رواه أبو داود ٣٤١/٤، والترمذي٣٣٦/٤.

(٤) هو قيس بن عاصم بن سنان بن خالد المنقري، وفد على النبي ﷺ في وفد بني تميم، وأسلم سنة ٩هـ، كان عاقلاً حليماً مشهوراً بالحلم. أسد الغابة ٤٣٢/٤ رقم ٤٣٦٤.

مسرعة ومعها قصعة مملوءة فعثرت، وأراقتها على رأس سيدها ميمون، فقال: يا جارية أحرقتني. قالت: يا معلم الخير ومؤدب الناس، ارجع إلى ما قال الله تعالى. قال: وما قال الله تعالى؟ قالت: **والكاظمين الغيظ** [آل عمران: ١٣٤]. قال: قد كظمت غيظي. قالت: **والعافين عن الناس** . قال: عفوت عنك. قالت: زد فإن **الله يحب المحسنين** . قال: أنت حرة لوجه الله تعالى.

وقال ابن المنكدر: أن رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ ضرب عبداً له فجعل العبد يقول: أسألك بالله، أسألك بوجه الله. فلم يعفه، فسمع رسول الله ﷺ صياح العـبد، فانطلـق إليه، فلما رأى رسول اللـه ﷺ، أمسك يده، فقال -عليه السلام-: «**سألك بوجه الله، فلم تعفه، فلما رأيتني أمسكت يدك.** قال: فإنه حر لوجه الله يا رسول الله. **فقال: لو** لم **تفعل لسفعت وجهك النار**» (١).

العبد إذا نصح

وقال -عليه السلام-: «**العبد إذا نصح لسيده وأحسن عبادة الله، فله أجره مرتين**» (٢).

ولما أعتق أبو رافع(٣)، بكى، فسئل عن ذلك، فقال: كان لي أجران فذهب أحدهما.

وقال ﷺ: «**عرض علي أول ثلاثة يدخلون الجنة، وأول ثلاثة يدخلون النار. فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة، فالشهيد، وعبد مملوك، أحسن عبادة ربه، ونصح لسيده، وعفيف متعفف ذو عيال. وأول ثلاثة يدخلون النار، أمير مسلط، وذو ثروة لا يعطي حق الله، وفقير فجور**»(٤).

---

(١) رواه مسلم ١٢٨١/٣.

(٢) رواه البخاري١٢٣/٣، وأبو داود ٣٤٣/٤، ومسلم ١٢٨٤/٣.

(٣) هو أسلم أبو رافع كان عبداً للعباس بن عبد المطلب فوهبه للنبي ﷺ فلما بشر رسول الله ﷺ بإسلام العباس أعتقه الرسول ﷺ شهد أحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ، مات بعد مقتل عثمان ﷺ. طبقات ابن سعد ٧٣/٤.

(٤) الأصل: فخور، والحديث أخرجه الترمذي، وقال: حسن. وابن حبان من حديث أبي =

وعن أبي مسعود الأنصاري[(١)] قال: بينما أنا أضرب غلاماً لي إذ سمعت صوتاً من خلفي يقول: «**اعلم يا أبا مسعود مرتين.**» فالتفت فإذا هو رسول اللهِﷺ، فألقيت السوط من يدي. فقال: «**والله لله أقدر عليك منك على هذا**» [(٢)].

وقال -عليه السلام-: «**إذا ابتاع أحدكم الخادم، فليكن أول شيء يطعمه الحلو، فإنه أطيب لنفسه**»[(٣)] رواه معاذ.

وقال أبو هريرة: قال رسول اللهﷺ: «**إذا أتى أحدكم خادمه بطعامه فليجلسه ليأكل معه، فإن لم يفعل، فليناوله منه**».

وفي رواية: «**إذا كفى أحدكم مملوكه صنعة طعامه، فكفاه حره ومؤنته، وقربه إليه فليجلسه، وليأكل معه، فإن لم يفعل فليناوله، أو ليأخذ لقمة فليروغها- و أشار بيده- وليضعها في يده، وليقل: كل هذه**» [(٤)].

ودخل على سليمان رجل وهو يعجن فقال: يا أبا عبد الله ما هذا؟

فقال: بعثنا الخادم في شغل فكرهنا أن نجمع عليه عملين.

وقال ﷺ: «**من كانت عنده جارية فصا ا، وأحسن إليها، ثم أعتقها وتزوجها، فذلك له أجران**»[(٥)].

وقد قالﷺ: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» [(٦)].

=

هريرة. المغني ٢/ ٢٢٠، إتحاف السادة ٦/ ٣٢٦.

(١) هو عقبة بن عمرو بن عوف أبو مسعود الأنصاري، شهد العقبة، وهو صغير، وشهد أحداً ونـزل الكوفة، استخلفه علي ﷺ على الكوفة، ثم عزله فرجع المدينة فمات ا آخر خلافة معاوية بن أبي سفيان. طبقات ابن سعد ٦/ ١٦.

(٢) رواه مسلم ٣/ ١٢٨١، والترمذي ٣٣٥/٤.

(٣) أخرجه الطبراني والخرائطي.

(٤) رواه مسلم ١٢٨٤/٣.

(٥) رواه البخاري ٣٣/١، مسلم ١٠٤٥/٢.

(٦) رواه البخاري ١٠٤/٨، ومسلم ١٤٥٩/٣.

جملة حق المملوك

فجملة حق المملوك أن يشركه في طعمته وكسوته، ولا يكلفه فوق طاقته، ولا ينظر إليه بعين الكبر والازدراء، وأن يعفو عن زلته، ويتفكر عند غضبه عليه فوته، أو بجنايته في معاصيه وجنايته على حق الله وتقصيره في طاعته مع أن قدرة الله عليه فوق قدرته.

روى فضالة بن عبيد[1] أن النبيﷺ قال: «**ثلاثة لا يسأل عنهم: رجل فارق الجماعة، ورجل عصى إمامه فمات عاصياً، فلا يسأل عنهما، وامرأة غاب عنها زوجها، وقد كفاها مؤنه الدنيا، فتبرجت بعده، فلا يسأل عنها.**

وثلاثة لا يسأل عنهم: رجل ينازع الله رداءه ورداؤه الكبرياء وإزاره العز، ورجل في شك من الله، وقنوط من رحمة الله»[2].

والحمد لله رب العالمين.

تم كتاب آداب الصحبة والمعاشرة مع أصناف الخلق.

---

(١) هو فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس من ساكني الشام، مات سنة ٥٩هـ. طبقات ابن خياط ص ٨٥.

(٢) أخرجه الطبراني، وصححه. المغني ٢٢١/٢.